البحثُ الأدبيُّ
آلياته وإشكالياته

الدكتور
عبد الوهاب عبد المقصود برّانية
مدرس بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

"إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

هود آية ٨٨

توطئة :

لا جدال في أن البحث والتنظيم والتخطـيط ضرورة مـن ضرورات الحيـاة، لا يستغنى عنها أي إنسان في حياته؛ إذ لابد له من برنامج يسـير عليـه في كـل أمـره وشأنه، وبدون ذلك تصبح الحياة ضربًـا مـن الفـوضى والعشـوائية وخليطًـا مـن الرغبات التي ليس لها كنهٌ ولا يميزها شكل أو مظهر.

والإنسان الذي ينشد الكمال أو ما يقاربه ينظم حياته ويسجل اهتماماته حتى لا يختلط الأمر عليه فيقدم ما ليس له أهمية على ما هو ضرورة ملحة و حاجة لا غنى له عنها، فإذا سارت حياته على هذا النظام والترتيب أصبح بإمكانه الإفادة من وقته والانتفاع بقدراته ومواهبه، واستطاع أن ينجز أكبر قدر من مصالحه و يحقق أهدافه وطموحاته في أقرب وقت ومن أيسر طريق.

وإذا كان النظام على هذه الدرجة من الأهمية بالنسـبة للإنسـان العـادي الـذي يمارس أعماله اليومية، فإنـه يكـون أكثـر أهميـة بالنسـبة للبـاحثين والدارسـين في المراحل الجامعية وما يليها من الدراسات العليا وغيرها، وتبـدو أهميتـه في تقـديم الدراسات الأدبية والنقدية الوافية، وفي النهوض بالمستوى الثقافي للفرد والمجتمع على حد سواء.

والبحث الأدبي يأخذ بأيدي الباحثين للوصول إلى الحقائق الأدبيـة وتحقيـق النتائج الهادفة ، من خلال الأخذ بمعطيات منهج يرسم للباحث طريقه ويخط لـه سيره فيأنس به في رحلته البحثية حتى يصل إلى نهاية الطريق.

ونظرًا لأهمية البحث لهؤلاء الباحثين، فقد أعِـدتْ هـذه الصـفحات لمناقشـة عدة محاور أساسية هي: مفهوم البحث الأدبي، وموضـوعاته، وأنـواع البحـوث، وآداب البحث، ومراحله: من اختيـار الموضـوع والمشرف إلي مرحلتـي الإعـداد، والتدوين وما يلزمهما من الاستقراء والاستنباط، ثم ناقشتُ ـ خلال ذلك كله ـ ما يجـب أن يراعى من أصول وأعـراف وتقاليـد تعـارف عليهـا البحـث الأدبي مـن خلال مناقشة هادئة للأفكار و المعاني، عارضًا أهم ما يجب على الباحـث الوقـوف عنده من آليات البحث وإشكالياته، آملاً أن يحقق هذا البحث الغاية المنشودة حين يلفت الباحثين إلى بعض أوجه القصور لتلافيها، وإلى بعض الآداب للأخذ بها.

ولست أزعم تفردًا في تناول هذه الأفكار، بل إني مسبوق من كثيرين(١) غـير أن تلك المعايشة التي أبديها لعناصر الموضوع بعيدًا عن جفوة المناهج ورتابـة الخطـط هي ما تجعل البحث ذا رؤية جديدة - قد يكـون أساسـها التجربـة أو النظـر عـن قرب - ولـذا فإن هذا الموضوع – رغم ضآلة صفحاته – يمثل مجرد رؤيـة قائمـة على تجربة وملاحظة دقيقتين حول الفكرة، ومن هنا تبدو أهميته.

وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا البحث سيناقش عدة محاور أساسـية لا غنـى لكل باحث عن الوقوف عليها، وأول هذه المحاور:

---

(١) مـن أهـم الدراسـات التي تناولت جوانب من هذه الدراسة: كتـاب: "كيـف تكتـب بحثًا أو رسالة ؟ " للدكتور أحمد شلبي، وهو يركز على الناحية النظرية لعمـل البحـث، ومنها كذلك: كتاب: "مـنهج البحـث الأدبي للـدكتور عـلي جـواد الطـاهر، وكتـاب: " مناهج البحث الأدبي" للدكتور = يوسف خليف ١٩٩٧، ولا شك في أن الدراسـات في هذا المجال كثيرة ومتنوعة، وهو ما دفع الباحث إلى انتهاج أسلوب في المعالجة يعتمد على الملاحظة الدقيقة للواقع الأكـاديمي مـن خـلال رصـد الآليـات والإشـكاليات في مجـال البحوث الأدبية .

(١)

مفهوم البحث الأدبي وأهميته:

البحث:(Research) هو بذل المجهود في موضوع مَّا، وجمع المسائل التي تتصل به، فهو مأخوذ من بحث بمعنى: فتش"[١]وفي التنزيل الكريم: "فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض.." المائدة آية ٣١.

فالبحث اكتشاف للحقائق وبثٌّ للمعلومات ونشر للأفكار والآراء والمقترحات وإذاعة لما اهتدى إليه الباحث من نتائج بعد البحث والتتبع والاستقصاء والاستنتاج والمعايشة الكاملة لموضوعه، مذيِّلاً كل ذلك بأهم ما توصل إليه من نتائج بعد تلك الرحلة البحثية الجادة، فالبحث الأدبي - بناءً على ذلك - هو: "طلب الحقيقة الأدبية في مصادرها وإذاعتها"[٢]

وطلب الحقيقة عام وشامل لكل أنواع البحوث، سواء منها ما يتعلق بالأدب أو غيره من مجالات الفكر والفن والحياة، فالبحث عن النظريات الفلسفية يستوي مع البحث عن الحقائق العلمية والفنون الأدبية في أن كلاً منها يسعى في طلب الحقيقة من مصادرها ومظانِّها، وإذاعتها في أوساط المثقفين وعامة الناس، بغية الإفادة منها في الحياة العملية إفادة مباشرة، أو بانعكاس آثارها على المجتمع

---

(١) مختار الصحاح مادة " بحث ".

(٢) د.علي جواد الطاهر: منهج البحث الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٣ سنة ١٩٧٩ ص ٢٧ .

والبحث بمعناه اللغوي فطرة في الإنسان؛ إذ هو يسعى دائماً إلى المعرفة واكتشاف الحقائق التي تحقق له حياة مستقرة، وتشبع عنده غريزة التطلع والفضول لمعرفة كل شيء يحيط به، فهو يريد أن يعرف كل شيء، ويبتغي الإجابة عن جميع الأسئلة التي ترد بخاطره، يعدها إعدادًا جيدًا، ثم يبحث لها عن إجابة في ذهنه أو محيطه، ويستخدم كل وسائل الاستشعار للوصول إلى هدفه وغايته، حينئذ يطمئن قليلاً لما توصل إليه، ثم يعاود الكرة مرة أخرى حين يطرأ أمر جديد يطرح نفسه على مائدة البحث وهكذا....

والبحث وإن كان غريزة في الإنسان، إلا أنه يحتاج إلى تخطيط سليم يعتمد على كثير من التأني والفحص والتعقل، حتى يمكن من خلاله إصدار قرارات صائبة والوصول إلى نتائج حقيقية لا مجال فيها للمبالغات التي لا تجدي في نطاق البحث العلمي أو الأدبي قليلاً ولا كثيرًا.

فالبحث - بناءً على هذا - فن يقوم على أصول وأسس يتسلح بها من يريد أن يصل إلى عمل متكامل، يُغني الفكر، ويحفز على التقدم العلمي والأدبي في مجالات الحياة المختلفة للبشرية جمعاء (١).

واللغة العربية في حاجة ماسة إلى البحث المنظم والمدقق في كل ما يتعلق بها حتى يمكن الإفادة من كنوزها، وتبسيطها للقراء والباحثين والراغبين في الوقوف على أسرارها ومزاياها العديدة والوفيرة، وخصوصًا في تلك الآونة التي تتعرض فيها اللغة العربية لهجمات شرسة تهدف إلى تقويض بنيانها وهدم قواعدها ونسف أصولها عميقةِ الجذور في تربتنا الثقافية والفكرية والروحية.

---

(١) د.عبد الباسط حمودة: فن البحث الأدبي ط١ مطبعة الأمانة ١٩٨٦م.

فمثل هذه الهجمات المغرضة التي تفتعل مشاعر الحرص على اللغة العربية، وتتزيًّا بزي النصيحة والغيرة على اللغة - ألاَّ تكون في ذيل اللغات، والناطقون بها ألا يكونوا في ذيل الأمم والشعوب - تحتاج إلى باحثين جادين من أبناء العربية أنفسهم ليردوا كيد الكائدين، ويعيدوا الخارجين عن الأصول إلى أصولهم، والشاردين عن الركب إلى مصاف إخوانهم المعتدلين.

فالتصدي لمثل هذه الدعاوي الباطلة أمرٌ موكول إلى الباحثين الجادين الذين يملكون ناصية الكتابة، ويعرفون طرق الرد على مثل هذه التُّرَّهات وإعادة أصحابها إلى رشدهم، أو كشف زيفهم للآخرين وتفنيد معتقدهم وتسفيه آرائهم.

والأمر - كذلك - موكول إلى الكليات والمعاهد العلمية والمجامع اللغوية التي تأخذ على عاتقها تخريج الأجيال المتعاقبة من الباحثين المؤهلين تأهيلاً علميًا للدفاع عن اللغة والعقيدة والأخذ بأسباب العلم، لتنهض الأمة ويرتقى المجتمع بالحق لا بالباطل، وبالصدق لا بالزّيْف و الكذب والبهتان.

وتجدر الإشارة إلى أن الكليات والمعاهد العلمية والجامعات قد انتشرت في أنحاء البلاد حتى لايكاد يخلو إقليم من الأقاليم من إحدى الكليات التي تخرِّج الأعداد الوفيرة من الباحثين في بعض مجالات الفكر والثقافة والعلم، لكن يجب أن تأخذ هذه المعاهد والجامعات على عاتقها مهمة غرس بذور الدراسة القائمة على أسس منهجية، تربط حاضرنا بماضينا، وتقف الأجيال الحاضرة على ثمرات التراث، وتحقق الوعي المعرفي بأصوله لدى أبنائنا وبناتنا ممن تتربص بهم التيارات

الوافدة وتعصف بهم الرياح المُحَمَّلة بثقافات مصنوعة لهم في معامل خاصة، لتحقق أهدافًا استعمارية في أوطاننا وعقول أجيالنا المتتالية.

وبناءً على ذلك فكل طالب أو باحث في موضوع مَّا، يحتاج إلى خطة يرسمها بنفسه أو تُرْسَم له، توضح ملامح بحثه وخطوات سيره في هذا البحث؛ إذ البحث المنظم المنهج أقرب إلى بلوغ الغاية والهدف من نظيره الذي ليس له ملامح ولا جوانب وأركان، فكثيرًا ما يوصف بالفوضى والعشوائية وتخلَخل البناء واضطراب الأفكار.

وقد تعددت آراء الدارسين حول بيان مفهوم البحث كلٌّ حسب رؤيته: فمنهم من قال: إن البحث " تقرير وافٍ يقدمه باحث عن عمل تعهده وأتمه، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة، منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة، مرتبة، مؤيدة بالحجج والأسانيد " (١).

ومنهم من رأى أن البحث هو الوقوف على المفهوم والتعرف إلى الجوانب المختلفة التي تنتهي إلى حقيقة واضحة تبين جوهر البحث (٢).

وقد رأى بعضهم أن البحث عبارة عن مشروع علمي أو أدبي يقوم على فكرة واضحة وعلى أسس منهجية تؤدي إلى الاقتناع بنتائجها (٣)

---

(١) د. أحمد شلبي :كيف تكتب بحثاً أو رسالة ؟ مكتبة النهضة المصرية ط٢٤ سنة ١٩٩٧م ص٣٠ .

(٢) د.علي علي صبح :معالم البحث الأدبي ص١١ .

(٣) د.عبد الباسط حمودة :فن البحث الأدبي ص١٤ .

فالبحث مشروع كغيره من المشاريع التي تُقَدَّم للتنفيذ بعد أن اجتـازت عـدة مراحل منذ أن كانت فكرة في الذهن إلى أن صارت واقعًا ملموسًا ومشروعًا قائمًا.

فالبحث في الأدب لا يختلف كثيرًاعن أي عمل صناعي أو زراعي؛ إذ يعتمد كلاهما على فكرة واضحة يتعهدها صاحبها خطوة خطوة على أسس من التجارب العلمية حتى تحقق الهدف المنشود منها، فكلٌّ مـنهما لـه مشروعـه الـذي ينـتظم في فكره أولاً، ثم يجسمه في عمل فني أو مشروع هندسي وهكذا

ولكن هل هناك فرق بين البحوث والكتابات الأخرى ؟

البحث عبارة عن دراسة متخصصة دقيقة تدور حول موضوع معين يتصل أوله بآخره، ولا بد فيه من مقدمة تخدم أجزاء البحث وتربطها ربطًـا دقيقًـا يقـوم على التعليل والتبرير المقنعين، وتتناسق فيه الأبواب والفصول بحيث يسـلم كـل منها للآخر في تناسق كمِّي وكيفي ـ في الغالب الأعم ـ حتى يصل إلى نتائج علمية يمكن الإفادة منها في مجال البحث الأدبي.

وهو يختلف عن المناظرة والمقال، ففي المناظرة التي تدور بين فـريقين، كـلٌّ ينتصر لرأيه بشتى الوسائل لتكون له الغلبة، ويتحقق له التفـوق عـلى خصـمه أو مناظره، ففيها تتخلف الحقيقة إلى حد كبير؛ لأن روح الحيدة والموضـوعية تنعـدم أو تتلاشى وتتراجع، أما البحث الأدبي فينشد الحقيقة الأدبية دون تحيز أو مجاملـة أو انتصار لمذهب أو فكر معينين.

وفي المقال: نجد الكاتب يركز فكرته، ويحدد هدفه، وينمق ألفاظه، ويتخير جمله وعباراته حتى يمكن رصد الأثر من أقرب طريق، دون ترتيب أو تبويب يخالفان طبيعة الفن المقالي.

وبهذا يتضح أن منهج البحث يختلف كثيرًا عن غيره من ألوان الكتابات الأخرى؛ إذ يقوم على الترابط والوحدة الموضوعية بين أجزاء البحث من البداية إلى النهاية حتى لحظة رصد النتائج الصحيحة أو التي يغلب عليها الصحة واليقين.

(٢)

موضوعات البحث الأدبي

للبحث الأدبي مجالات عديدة: فقد يكون البحث ترجمة لشخصية أدبيـة أو علمية أو فنية، ومجال البحـث في الـتراجم يحتـاج إلى جهـد مضـنٍ؛ لأنـه يتطلـب الوقوف على مذاهب النقد الأدبي الحديثة للتعرف إلى البيئات التي كان لهـا أثـر في تكوين الشخصية، من بيئات سياسية واجتماعية وثقافيـة واقتصـادية، وانعكـاس ذلك كله على حياة المجتمع بما فيه الشخصية المدروسة التي تؤثر وتتـأثر بأحـداث العصر وبيئاته وطبيعته، ويستلزم البحث في شخصية معينة الوقوف كـذلك عنـد حياتها الشخصية ونشأتها والحوادث التي أثرت في تكوينهـا وتثقيفهـا وتوجهاتهـا وأهم المؤثرات المحيطة بالشخصية من أساتذة وأسرة ومدرسة، والتي تعد روافـد أساسية في عملية التكوين الفكري والثقافي والتربوي.

ثم يعمد الباحث بعد ذلك إلى دراسة آثـار وأفكـار الشخصـية المدروسـة، فيتناول نتاجها بالتحليل شعرًا كان أو نثرًا، مطابقًا الفكر بالسلوك وأنـماط الحيـاة التي عاشتها تلك الشخصية.

وقد يقسم الدارس شخصيته إلى مراحـل عمريـة، فيـدرس مرحلـة الشـباب ومرحلة الشيخوخة، ويقارن بين الشخصية في كلتا المرحلتين، وينظـر تطورهـا في كل مرحلة عن الأخرى وتَرَقِّى أفكارها وتنوعها، أو اختلافهـا وتباينهـا، ويخـرج من كل ذلك بنتائج مفيدة، وقد يعتمد - في سبيل ذلـك - عـلى المـذاهب النقديـة الحديثة كالمذهب النفسي والتاريخي وغيرهما.

وقد صنع مثل ذلك "عباس محمود العقاد " في دراستيه عن: ابن الرومي، وأبي نواس، وفعل مثله " د. طه حسين " في دراساته عن أبي العلاء والمتنبي وغيرهما، حيث اعتمد العقاد المذهب النفسي، واعتمد طه حسين المذهب التاريخي، واستطاع العقاد أن يحلل نفسيه أبي نواس، ويبرز ظاهرة الشك عنده ونوازعها النفسية، معتمدًا في ذلك على أساسيات المذهب النفسي، واستطاع أن يربط بين المظاهر الخلقية للشاعر أبي نواس وبين نظريات علم النفس، فاستنتج نقص الغدد التي تؤثر في الأعراض الفسيولوجية للشخصية مثل نضج الرجولة وغيرها من البحة واللثغة اللتين لازمتا أبا نواس طوال حياته؛ لأن جهاز النطق شديد العلاقة بالنمو الجنسي عند الرجال.

وقد يلجأ الباحث إلى عدة مناهج يستقي منها معلوماته وأخباره عن الشخصية التي يدرسها، ليصل إلى نتائج محققة ومعلومات دقيقة.

وقد تكون الشخصية المدروسة على قيد الحياة، فليزم الباحث ـ حينئذ ـ الرجوع إليها والالتقاء بها والتعرف إلى أفكارها من خلال المناقشات والحوارات والمطارحات ،فيستقي منها كثيرًا من معلوماته وتكون مصدرًا مهمًا من مصادره، إن لم تكن أهم المصادر على الإطلاق، وقد يلجأ إلى أصدقاء ومعارف وزملاء الشخصية ومن عايشوها عن قرب للتعرف إلى ملامح حياتها وثقافتها وفكرها.

وقد يتناول البحث موضوعًا من الموضوعات، أو قضية أدبية، أو ظاهرة من الظواهر الفنية أو جنسًا أدبيًا، وهنا تبدو شخصية الباحث وثقافته وخبرته في المعالجة ومقدرته على التعامل مع النصوص والآراء والأفكار المختلفة، حتى لقد نبه كثير من الأدباء - في القديم والحديث - إلى ضرورة العناية بالموضوعات الأدبية؛ لأنها أكثر دلالة على إمكانية الدارس ومقدرته البحثية؛ ولذا تُوجِّه كثيرٌ من الكليات باحثيها إلى ارتياد هذه الجوانب، حتى تؤهلهم تأهيلاً أدبيًا صحيحًا وقويًا في الوقت نفسه.

(٣)

أنواع البحوث

ومن هنا حرصت الكليات والمعاهد العليا على تنويع البحوث التي يُكلَّف بها الباحثون والدارسون على هذا النحو:

١ـ البحث الصَّفِّي: (نسبة إلى الصف الدراسي) وهو ما يكلف به الطلاب في مرحلة الدراسة الجامعية لتدريبهم على سعة الاطلاع والدراية بالمراجع والتعامل مع المؤلفات المختلفة في مجال البحث العلمي، وإعدادهم ليكونوا مؤهلين في المستقبل لحمل مشاعل البحث والثقافة والتنوير.

والبحث الصفي ذو أهمية قصوى بالنسبة للطالب؛ لأنه البداية الأولى في التعامل مع المراجع والموضوعات العلمية والأدبية، فإذا وُجِّه الطالب توجيهًا صحيحًا أثمر البحث الصفي وآتى أكله، ويتمثل التوجيه الصحيح من قِبَل الأستاذ نحو طلابه في تبصيرهم بأصول البحث وأسسه وإضاءة الطريق أمامهم، ومتابعتهم فيما يكتبون وتشجيعهم بإقرارهم أحيانًا فيما أتوا به من نتائج أو لفت نظرهم إلى أوجه القصور التي تتخلل بحوثهم.

والبحث الصفي بحث صغير الحجم، ويجب أن يُعْنَي به الأساتذةُ عناية فائقة، فيكلفون كل مجموعة من الطلاب - في الدفعات المختلفة - بالبحث في موضوع يعده الأستاذ، أو يقترحه الطالب ويوافق عليه مشرفه، بحيث يتجنب عملية النقل الرتيب التي اعتاد عليها أغلبية الطلاب.

٢ ـ بحث التخرج: إذ عندما يكون الطالب قد بلغ المرحلة الأخيرة من التعليم الجامعي وصار إلي السنة النهائية فإن بعض الكليات تطالبه ببحث فوق مستوى البحث الصفي، فيه شيء من العمق والسعة، ويتسم بالطرافة والموضوعية، فالطالب يكون قد وصل إلى مرحلة من النضج والفكر والثقافة تؤهله لأن يعتمد على نفسه وعلى رصيده المعرفي والثقافي إلى حد كبير، وقد يكفيه بعض التوجيه ثم ينطلق في مأمن وثقة من خطواته، لأنه تدرب كثيرًا على ألوان البحث وتعامل مع مختلف المراجع والمصادر والمؤلفات في سُنِيّ دراسته السابقة، حتى استوي على سوقه، واستقام عوده، وقويت شوكته، ويمكن أن يأتي بنتائج مُرْضية - إلى حد كبير- يطمئن إليها أساتذته، ويقتنع بها مشرفوه.

٣ـ بحث الدبلومة: فبعد أن يتخرج الطالب ويحصل على مؤهله الجامعي، يفكر بعض الطلاب - المتميزين عن أقرانهم - في الالتحاق بالدراسة العليا ليتخصصوا في دراسة مّا، وقد تكون هذه الدراسة سنة واحدة أو سنتين حسب أعراف الكليات وقوانينها، فيكلف الطالب ببحث أو بحثين يكونان بمثابة التمهيد للتخصص، فلا بد أن يعد الطالب نفسه إعدادًا جيدًا لخوض مرحلة جديدة من البحوث لا يقبل فيها التجاوز إلا في أضيق نطاق، فيتعود الدقة والتمحيص والفحص والمناقشة الجادة للآراء والوصول إلى النتائج القائمة على أسس واقتراحات.

٤ـ بحث التخصص (الماجستير): وهو مرحلة جديدة وجادة من مراحل البحث الأدبي، حيث يكون الباحث قد اكتملت أدواته، ونضج فكره، وازدادت خبرته سعة، فيسير هنا على خطة ومنهج، ويُحَدَّد له أستاذ يشرف عليه بصفة رسمية وعملية، ويشاركه المسئولية في بحثه.

٥ـ بحث العالمية(الدكتوراه): وهو قمة البحوث أو المفترض فيه ذلك، وهو صورة مكبرة من بحث الماجستير، وقد يتجاوز في الماجستير بما لا يمكن التجاوز عنه في الدكتوراه؛ لأنها أعلى الدرجات العلمية في العالم، ورسالة الدكتوراه عنوان صاحبها ومشرفها وكليتها وجامعتها أيضًا، فالموضوعات الجادة العظيمة تشريف لكل هؤلاء، أما الموضوعات التافهة المطروقة كثيرًا والمقتولة بحثًا فهي مغمز لأصحابها وللجهات التي أشرفت عليها أو وافقت على منحها، ومن هنا يجب أن تحرص كل الجامعات والكليات على الدقة في اختيار الموضوعات؛ لأن اختيار المرء قطعة من عقله وفكره، فيجب التأني والتمهل - إلى حد كبير- قبل الموافقة على موضوع علمي في مرحلة الدكتوراه، حتى تتحقق هذه الجهات المسئولة من صلاحية الموضوع للدراسة وطرافته في المكتبة العربية، وكفاءة الباحث وخبرته في الوصول بالموضوع إلى بر الأمان .

وفي بحث الدكتوراه يتسع الإطار الكَمِّي الذي يسير فيه الباحث، فالمجال أرحب وأوسع من غيره، فيسمح لبحثه بالتوسع والشمول.

(٤)

آداب الباحث:

لكي نحكم لباحث مَّا بالتميز والتفرد والتفوق على غيره من الباحثين لا بـد أن نضع في أذهاننا عدة اعتبارات تؤيد هذا الحكم وتعضـده وتقويـه؛ إذ للباحـث المتميز صفات خاصة تؤهله للنبـوغ في مجـال دراسـته وبحثـه، وقـد تكـون هـذه الصفات فطرية أو مكتسبة، يشارك الآخرين في بعضها وينفرد هو ببعضها الآخـر مما يساعد في إبراز مقدرته البحثية وتفوقه العلمي.

وبإمكاننا أن نرصد مجموعة من الآداب التي يجب أن يتحلى بهـا كـل باحـث والعيوب التي لابـد أن يـتخلى عنهـا معتمـدين في رصـد الآداب والعيـوب عـلى التجربة والملاحظة للواقع في أغلب الأحيان، ومنها :

١ـ الرغبة:

إذ هي شرط لنجاح أي عمل، فبدونها تتعرقـل مسـيرة البحـث أو تتوقـف إلى حين؛ فالباحث الذي يقدم على موضوعه دون رغبة محققة ربما ضاق بـه ذرعًـا، أو أحس بالنفرة منـه؛ لعـدم تـوافر الألفـة بيـنهما، فيشـعر كأنـه ضـيف ثقيـل عـلى موضوعه، أو كأن التواصل بيـنهما مفـروض ومصـطنع، والتـآلف بيـنهما مؤقـت ومفتعل، والعلاقة فاترة أوهشة.

وكثيرًا مـا يُنْصَـح البـاحثون الـذين هـم في مقتبـل العمـر وأول الطريـق أن يساعدوا أنفسهم على تحقق الرغبة بإيجاد خط مفتوح بينهم وبين الموضوعات التي تمُتُّ إلى مجال تخصصهم بصلة، ويتحقق ذلك بالقراءة والتثقيـف والوقـوف عـلى

أهم القضايا المطروحة على الساحتين: الأدبية والنقدية، حيث يصنع هذا التتبع لألوان الفكر والثقافة جسرًا موصولاً بين القارئ ومجتمعه، يسمح له بعد ذلك بالبحث، ويمكنه من إبداء الرأي والمشاركة الفاعلة فيما يطرحه هذا المجتمع من الثقافات والمعارف.

وقد يظن بعض الباحثين أن الرغبة عنده غير متحققة حين يقدم على دراسة فن من الفنون كالشعر أو القصة أو المسرح أو غيرها، فيعزف عن هذا الفن، رافضًا كل المحاولات لتشجيعه على خوض مجال البحث، زاعمًا أن ليس بينهما تآلف، أو مبديًا هيبته من الإقدام على دراسته، وقد لا تجدي كل وسائل الإغراء بالموضوع أو التشجيع عليه في إزالة هذه المخاوف أو إيجاد الرغبة والألفة المفتقدتين، وقد تنجح بعض المحاولات، فيقدم الباحث على موضوعه متهيبًا في البداية، ثم سرعان ما تزول الهيبة وتتحقق الألفة ويأتي الباحث بنتائج هائلة، ويصبح هذا الفن الذي خاض غماره -في تهيب- فنَّه المحبب إلى قلبه ومعشوقه الذي يغنى من أجله ويعيش حياته يطرب للقياه.

فقلة الرغبة أو عدمها يعدان سببًا وجيهًا للانصراف من البداية عن البحث، وربما كانت الرغبة ذات صلة بقدرة الباحث الذهنية وملكته الفنية والأدبية، والأساتذة هم أقدر الناس على تقييم قدرات طلابهم والكشف عن المستور من مواهبهم، وهم الأولى بتوجيههم إلى هذا الفن أو ذاك، ويفسر ذلك إصرار كثير من الأساتذة - في بعض الكليات - على احتضان بعض نوابغ الطلاب بتحديد وجهاتهم واختيار مجال تخصصهم، والموضوعات التي يبحثونها، ثم يتولون مهمة الإشراف عليهم ومتابعة ما يقدمون من كتابات وما ينجزون من خطوات أولاً

بأول، فالدافع لذلك هو إعجاب الأستاذ بطالبه، واقتناعه بموهبته، وحرصه عـلى توجيهه الوجهة الصحيحة.

٢ ـ الصبر والتَّأَنِّي:

وهما من سمات الباحث الجاد الذي يُقدِّر أهمية البحـث والتتبـع لموضـوع مَّـا، فكثيرًا ما تصادف الباحث عقبات وتعترضه صعوبات ومعوقات قد تصرفه عـن بحثه وتصيبه بالإحباط وتبـث فيـه روح التـذمر والضـيق والتـأفف، وتثنيـه عـن مواصلة السير، وتعرقل خطواته، حينئذ يفكر في تغيير وجهته بعد مُضِيِّ مـدة مـن الزمن، وقد يقضي الباحث مدة بين طوايا بحثه، يجمع مادتـه العلميـة مـن بطـون الكتب والمراجع ثم يكتشف أنه لم يحقق أيَّ إنجاز، ولم يصل إلى أية نتائج، فتسيطر عليه كل عوامل الضيق والتبرم، وقد يحرص الباحث ـ بدافع من تعجله وحرصه على الفراغ السريع من بحثه لتحقيق مكانة علمية أو الحصول على درجة وظيفية ـ على لَمِّ شتات بحثه غير عابئ بجودته أو رداءته، وقد يدفع الباحث إلى العجلة مـن أمره ضيقُ الوقت أمامه حيث تُلْزم بعض الجامعات طلابها بمـدة محـددة فـيمضي الباحث في دراسته بين الخوف والرجاء، وكأن على رأسه سـيفًا مسـلطًا يسـتحث خطاه حتى لو كان ذلك على حساب جودة البحث.

٣ـ القراءة والاطلاع الواسع:

فالقراءة هي مفتاح المعرفة وسبيل العالم والمتعلم إلى المعرفة والثقافة، ولشرفها كان الأمر بها أول ما نزل على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن الكـريم: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} اقْـرَأْ وَرَبُّـكَ الْأَكْـرَمُ {٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " العلق من ١ـ٥

فلا بد للباحث "أن يقرأ في كل شيء ... بما في ذلك المجلات والدوريات والفهارس ويستمتع بما يقرأ، ويقتبس من ذلك ما يتصل بموضوعه "(١).

والباحث الجادُّ هو الذي يفرغ لبحثه ويدأب في قراءة كل ما يتصل بموضوعه، ومن الباحثين من يرتبط بالمكتبات العامة ودور النشر ارتباط حب وعشق، فيألف المكان وأهله من كثرة تردده عليهما، ويصبح على علم تام ودراية كافية بأغلب ما في هذه المكتبات من كتب، ويستطيع أن يدلك على أمكنة المراجع وأسماء المؤلفين ودور النشر التي تولت طباعة هذه المراجع وسنوات ظهورها أو نشرها.

والبحث الأدبي ـ شأن كل البحوث ـ لا يعتمد على عدد محدد من المصادر والمراجع بحيث يكتفي بها الباحث، فيأخذ من هذا فكرة ومن ذاك فقرة حتى يستوي له البحث عددًا من الصفحات فحسب، وإنما المعلومة ضالة الباحث ينشدها في مظانها ومصادرها، فقد يكون البحث في موضوع أدبي فتفيد فيه كتب الفلسفة وعلم النفس والاجتماع إفادة كبيرة، وقد يخدم الفكرةَ مقالٌ في جريدة يومية أو مجلة شهرية، أو كُتَيِّبٌ صغير يبدو للباحث أقل أهمية ولكنه قد يجد في مباحثه ما يجلو غامضًا أو يفتح بابًا من أبواب البحث ويغلق آخر لا حاجة له به ولا يخدم عناصر موضوعه.

والقراءة الموظفة توظيفًا صحيحًا لا تقتصر على ميدان واحد من ميادين الثقافة والفكر، وإنما تتشابك مع كل الميادين الأخرى، وتتفاعل مع ألوان

---

(١) د. علي جواد الطاهر: منهج البحث الأدبي ص٣٣.

الثقافات والمعارف: تأخذ منها وتعطي، وتتأثر بها وتؤثر فيها، والباحث المتميز هو الذي يفيد من كل المعارف ويوظف كل القراءات، فلا يحصر نفسه في نطاق بحثه المحدود الضيق، حتى إذا كان مجال بحثه في الأدب القديم مثلاً أغلق على نفسه الأبواب ووضع الحواجز والمتاريس دون ما سواه من العصور والآداب، حينئذ يكون قد عزل نفسه وبحثه عن الآخرين ولا يمكن لبحث هذا منهجه وتلك خطته أن يحظى بالقبول أو يحقق نتائج على درجة من الأهمية.

وقد ينظر القارئ في قائمة المصادر والمراجع لبحث مَّا يتعلق بالقصة أو الرواية مثلاً، فيجد فيها مراجع تتعلق بالسياسة والاجتماع والأدب والفن والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس وغيرها، وقد يجد في هذه القائمة تحقيقات صحفية وأرقامًا وإحصاءات دورية تصدرها بعض المراكز البحثية في مواقع شتى من العالم، وقد يجد فيها لقاءات وحوارات شخصية ومواجهات نقلية وخصومات أدبية وغير ذلك، وكل ذلك إنما يدل على تنوع الباحث وسعة اطلاعه وعمق ثقافته وبصره بمواطن الأفكار والمعلومات، وهو يؤدي في النهاية إلى ثراء الموضوع والثقة في النتائج التي توصل إليها الباحث.

ومن الباحثين من يظن - خطأً - أن البحث في موضوع مَّا لا يقتضي من العلم إلا ما اتصل بالموضوع مباشرة، وهذا خطأ يجرُّ صاحبه إلى ضيق الأفق وجفاف المادة، والصحيح أن يكون الباحث ملمًّا بكل ما يتصل بالمادة من قريب أو بعيد ليكتسب السعة وليسير في ثقة[1].

---

(١) منهج البحث الأدبي ص٣٣.

ولعل خير ما يفيد الباحث ويوجه قراءاته ويوظفها في خدمة البحث، أن يُمْنَى بذاكرة حافظة لاقطة، تقع على النافع المفيد فتخزنه وتحتفظ به لتعود إليه في الوقت المناسب،وتستدعيه حين تتطلب المواقف، فقد يقرأ الباحث فكرة في كتاب، ثم يفرغ منه وتبعد بينهما الشقة، ولكن ذاكرته انطوت على الفكرة، فإذا احتاجها قفزت إليه من الذاكرة فوضعها في مكانها المناسب، ووظفها حيث يشاء.

بمثل هذه الذاكرة الحاضرة والحافظة اللاقطة القوية يمكن للباحث الذي يواصل القراءة ويديم الاطلاع أن يسير في بحثه بخطى واثقة حتى يصل إلى النتائج الباهرة"[1].

٤ـ الهيكلة والتنظيم:

فقد يكون الباحث ذا علم غزير ومعرفة واسعة ودراية وثقافة لا حدود لها، مُلما بالأدب وعصوره واللغة ومباحثها، ولكن ذلك لا يدل على أنه كاتب ممتاز، أو باحث موفق ما لم يسر على منهج في بحثه ونظام في كتابته؛ إذ العلم الغزير وحده لا يكفي في صنع باحث يقبل القراء على مؤلفاته، فقد يكون هذا العلم موضوعًا في غير نظام، يحمل الغث والثمين، ويكون الباحث كحاطب ليل، يجمع الضار والنافع، ويأخذ كل ما يصادفه، ويحمل كل ما تلمس يداه، وقد تقرأ كتابًا له عنوان جذاب، ويضم بين جلدتيه مئات الصفحات فيغريك بقراءته ولكن مَّا أن تقبل عليه حتى تنصرف عنه، لأنه افتقد موهبة التنظيم والهيكلة في تأليفه " وما كل امرئ بمستطيع تبويب المادة وتوحيد أجزائها ووضع كل منها في مكانه اللائق بقدره المناسب بعد طرد ما هو تافه وخارج عن الصدد "[2].

---

(١) راجع: ما كتبه الشيخ أحمد الأسكندري في: " نزهة القارئ "د.ت.

(٢) منهج البحث الأدبي ص٤٥ .

فالمقدرة التنظيمية عنصر مهم وشرط من شروط الباحث الجيد؛ فبدونها يفقد البحث قدرًا كبيرًا من أهميته، وقد لا تتحقق الفائدة المرجوة من ورائه، والتنظيم مطلوب في كل مجال من مجالات العلم، ويُنْصَح المعلمون بالأخذ به في العملية التعليمية حتى تؤتي ثمارها، وقد تلاحظ أن بعض المعلمين يحظون بحب الطلاب وإقبالهم علبهم وحرصهم على متابعة دروسهم ومحاضراتهم، وقد يكون المعلم قليل الزاد أو متواضعًا في مادته، ولكنه يتميز بمنهجيته وبراعته في عرض مادته العلمية، وبطريقته في توصيل المعلومة بشكل يجذب إليه تلاميذه ويرغبهم في التلقي على يديه.

وفي الوقت نفسه قد تجد معلمًا غزير العلم، مرجعًا في تخصصه، قاموسًا في مفردات مادته، ولكنه لا يرقى إلى مستوى زميله على الرغم من تفوقه العلمي وتضلعه في مادته، فقد ارتفع الأخذ بالنظام أو المنهج بأحدهما وتخلف عدمه بالآخر.

٥ـ الحيدة والموضوعية:

فلكي يقف الباحث على الحقيقة لا بد له أن يكون موضوعيًا بمعنى "أن يسمو بنفسه عن أن تضعف إزاء هذا الغرض أو ذاك لأن الحقيقة أكبر"(١) ومما يتصل بالموضوعية أن يتجرد الباحث عن الهوى والغرض، فيحكم على الأعمال الأدبية وفق ما تقتضي العدالة والإنصاف، فيغلِّب الحق على الباطل ويسير وفق العقل لا العاطفة؛ إذ قد تجره العاطفة إلى الميل نحو هدف أو معتقد أو مذهب فيرفع من

---

(١) السابق ص٤٨.

يريد أن يرفع ويخفض من يريد حسب هواه، والباحث الموفق هو من يرتفع بنفسه عن مستوى الانتقام أو المغالطة فيرفع المجيد ولو كان خصيمه، ويخفض المسيء ولو كان صاحب وده وخليله.

والباحث كالقاضي " لا يليق به أن يميل إلى فكر معين فينصف من وافقه ويبخس من خالفه، بل عليه أن يتحرى الحقيقة مهما كانت مخالفة له في الرأي، ومباينة له في المنزع والعقيدة فيجلِّيها في صورتها وينزلها منزلتها"(١).

ولكي تتحقق العدالة للباحث فلا بد له ـ كذلك ـ من التحلي بالأمانة في التعامل مع آراء الآخرين وأفكارهم، فلا ينسب رأيًا إلى كاتب أو ناقد لم يقله، ولا يحجب عن قارئه رأيًا أو فكرًا من شأنه أن يظهر الحقائق كما هي دون زيف أو تحريف.

وقد تضيق السُّبُل أمام بعض الباحثين فيلجأون إلى أخذ آراء الآخرين ناسبيها إلى أنفسهم، أو متصرفين فيها كما يتصرف المالك في ملكه، وقد يكون ما أُخِذ من مشهور الآراء، وفاتهم أن يرقبوا ذكاء القارئ المثقف و الناقد البصير، و قد يسطو أحد الباحثين على أفكار غيره ، فتقعد به همته عن مساواته فينكشف زيفه و يتحقق باطله، وتكون سرقته كالرقعة في الثوب الخلق أو كالنغمة النشاز وسط أنغام متوافقة، والباحث الذي اعتاد هذا المأخذ وسلك هذا المسلك باحث يفتقد الأمانة العلمية التي هي أساس متين من أسس البحث العلمي، و هو إن حقق – بزيفه – نصرًا عاجلاً و حصَّل درجة علمية مرموقة، وارتقى في سلم

---

(١) الباحث : رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود سنة٢٠٠٣م تحت عنوان: الدكتور عبد العزيز شرف ناقدًا. ص ٢١ .

الشهرة درجة، فإنه في نظر نفسه ونظر المنصفين الجادين لا يساوى خردلة، و لا قيمة عندهم لما حصل من درجات، ولا وزن لما حقق من إنجازات، لأنهم أكثر الناس دراية بفعلته.

وقد يتسرب الشك أحيانًا إلى بعض المشرفين حين يجدون ما يكتبه الباحث فوق مستواه، أو يجدون مستواه دون ما يكتب في رسالته، فيطلبون الاطلاع على مراجعه ومصادره للاستيثاق والتأكد من اطلاعه عليها وأخذه منها، وهي خطة حميدة لو اتبعها كل مشرف مع من يشك في أمانتهم من الباحثين من خلال حقائق ملموسة لا تعسف فيها أو افتراء.

ولكي يحكم الباحث على الآراء التي يقرأها والأفكار التي يطالعها حكمًا صائبًا يجب عليه أن يتثبت ويتأكد من صحة ما يقرأ ويطالع، فلا يأخذ الآراء على علاتها، فيحسن الظن بكل المؤلفين والكُتَّاب، بل عليه أن يقلِّب الآراء على كل الوجوه، وكثيرًا ما قيل: " سوء الظن عصمة "، فقد تخدع النظرة الأولى دون تثبت وتفحص، ثم يتبين فسادها بعد ذلك.

والأمانة العلمية نابعة من ضمير يقظ؛ لا يرضى أن ينسب لنفسه مجدًا لم يحققه في الواقع، أو إنجازًا لم يمض في طريقه خطوة واحدة، ولم يُعَنِّ نفسه في سبيله مثقال حبة من خردل.

٦ـ الشجاعة والجرأة:

فالباحث الجريء المدقق هو الذي يأخذ ما يوافق بحثه وماله دور أكيد في عناصر البحث ومحتواه دون مراعاة للعلائق الاجتماعية والروابط والوشائج

والصلات، وما أكثر ما كانت تقوم الخصومات الأدبية والفكرية والمعارك بين النقاد في العصر الحديث وغيره من العصور على ما بينهم ـ في الواقع ـ من صلات ومودَّات! كما وجدنا بين العقاد وزميليه: شكري والمازني، أو العقاد وشوقي والرافعي؛ إذ يجب أن يجعل الباحث شعاره: " الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية " وكذا: يضع نصب عينيه قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي – رحمه الله – : "رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب".

فمن شروط الباحث أن يكون متصفًا بالجرأة، وألا يخضع لأي ضغط مادي أو معنوي ليغير ويبدل من آرائه أو يخالف الحقيقة التي هي أولى بكل اعتبار.

وليس معنى الجرأة والشجاعة التطاول البغيض، وتسفيه آراء الآخرين وإلصاق التهم بهم، أو افتعال الخلاف دون مبرر، بل الجرأة تكون في مناقشة الآراء والأفكار وتوجيهها، ولا يتحقق ذلك إلا لباحث امتلك أدوات بحثه واستطاع أن يوظفها لخدمة الحقيقة والبحث العلمي.

٧ـ الموهبة والمهارة:

كشأن كل فن لا يكتب له النجاح إلا بتوافر الموهبة لصاحبه، وبدونها لا يتحقق أي نجاح، فالشاعر والقاضي والرسام وغيرهم موهوبون وإذا لم يدعم فنهم موهبةٌ راسخة انعدم الأثر القوى في المتلقي، فالموهبة هي الخيط الرفيع بين المبدع والمتلقي، هي التي توصل الرسالة الإبداعية إلى الجمهور، وبدونها تفقد الرسالة أهم عنصر من عناصرها.

وقد نجد شاعرًا نظَّامًا للشعر، ليس في شعره رواء، ولا في فنه إبداع، ولا وراء نظمه أثر يمكن أن يلمسه أو يحس به القارئ أو المتلقي عمومًا فيتجاوب مع مبدعه، إن الذي أفقد العمل الفني هذا الأثر خلوه من الروح الفنية التي هي أثر من آثار المبدع أو الفنان، ولا تتحقق في كل فنان، بل تجدها في بعضهم وتعدمها في كثيرين

والموهبة لا توجد في كل باحث، فليس كل باحث فنانًا، وكما لا يحتاج الشعر الرديء إلى موهبة، فإنه على الرغم من ذلك يطلق عليه مسمى الشعر فكذلك ـ أيضًا ـ ليس كل باحث موهوبًا، فقد تقرأ لباحث مَّا في موضوع معين؟، ثم تقرأ في الموضوع نفسه لباحث آخر فتجد البون شاسعًا بين الباحثين على الرغم من وحدة الموضوع، حيث يطلعك أحدهما على حقائق ويصل بك إلى نتائج من خلال عقلية حصيفة وفكر عميق، استطاع أن يستجلي عرائس النصوص ويقرأ ما بين السطور، ويفهم دلالات الكلمات، وما توحي به الجمل والعبارات، ويقفك على موضوع متكامل النسج محكم الخيوط، ثم تقرأ الآخر فلا يترك فيك أثرًا علي الإطلاق، لاشك – إذن – أن الموهبة لها دخل كبير في صنع هذا المجد الأدبي لأحدهما دون الآخر، فبينما ترى الراجح فيهما يأتي بالآراء التبي تخدم أطراف موضوعه ويناقشها ويحللها بموضوعية وفهم وثقة، ترى الآخر المرجوح يقع على بعض النُّقول والنصوص فيلفّقها ويجمع بينها في غير وعى ولا بصر ليكوِّن منها مباحث وأفكارًا لا تؤدي إلى نتائج صحيحة

٨ـ اللغة والأسلوب:

فاللغة هي الثوب الجميل الذي يرتديه البحث، والـذوق العـالي الـذي يبديـه الباحث، والأسلوب: هو عنصر الجذب الذي يربط القارئ بالكاتب؛ فالأسلوب الرائق الممتاز يأسر القارئ ويربطه بالكاتب برباط وثيق، ويصنع بينهما جسرًا مـن المودة قد يمتد أثره إلى كل آثار الكاتب الأدبية والفنية، فيقتني القارئ المحب كـل ما تقع عليه عيناه، ويسعى في البحث عن كل ما تسمع عنه أذناه من مؤلفات وآثار كاتبه المفضل حتى لو كانت بعيدة عن نطاق اهتمامه.

والأسلوب الجيد قد يكون علاجًا لكثير مـن حـالات العـيِّ والفهاهـة عنـد بعض الناس؛ فكما يوصي الأطباء بعض مرضاهم بالتريض للخروج من حـالات الضيق والتبرم، يُوصَي بعضُ الباحثين الذين يعجزون عن البيان والإفصـاح عـن أفكارهم بأسلوب رائق جميل بمراودة الأساليب الساحرة التي تعـبر عـن الفكـرة من أقرب طريق، فمتابعة تلك الأساليب تذهب العيَّ وتـورث الفصـاحة وجمـال الأسلوب.

وكثيرًا ما يُوصِي بعضُ الأساتذة باحثيهم وطلابهم بقـراءة بعـض المؤلفـات كمؤلفات الجاحظ وابن العميد و عبد الحميد في القديم، وطه حسين والمنفلـوطي وغيرهما في الحديث، ليرتقي أسلوبهم، ويرتفع مستوى التعبـير عنـدهم إلى الحـد الذي يرضَى عنه هؤلاء الأساتذة والمشرفون.

وقد يكون الباحث جادًّا ولكنه غير مُجيد ، فهو جاد في البحث عن الأفكـار والوقوع على النافع منها، ولكنه حين يأتي ليصوغ تلك الأفكار صياغة تقربها مـن ذهن القارئ وتنقلها نقلا منتظمًا إلى عقله وفكره، فإنه لا يستطيع ، فقد دفع تخلف الأسلوب إلى تخلف الفكرة وتراجعها.

وقد يشكو بعض الأساتذة مُرَّ الشكوى من ضعف أسلوب كثير من الباحثين، لما فيه من سقطات لغوية ومزالق أسلوبية، فتشغل الأساتذة عن النظر الدقيق في منهج البحث وخطته وأفكاره وعناصره الفنية، فيهتمون بتصويب الأخطاء اللغوية وترقيع تلك المزالق الأسلوبية، ومراجعة الباحثين فيها مرات ومرات، وفي هذا إهدار لوقت الأستاذ والطالب على سواء في أمر المفترض أن يكون الباحث مهيأ له منذ البداية؛ لأن الأساس اللغوي عُدَّةُ الباحث وعتاده، فكما لا يليق بالصانع والزارع أن يعتمدا في مهنتيهما على الخبرة والمعرفة والإلمام التام بما يصلح تلك المهنة – دون الاعتماد على الأدوات اللازمة التي تساعد كلاً منهما على الارتقاء بمهنته – كذلك لا يليق بالباحث بل لا يُقبل منه – أن يقدم على بحثه فارغ اليدين من تلك اللغة التي يعبر بها عن أفكاره.

وقد يلجأ بعض الباحثين - بعد الفراغ من البحث وقبل عرضه على الأستاذ المشرف - إلى بعض ذوي الخبرة اللغوية لتصويب الأخطاء وتقويم الأسلوب حتى لا يتعرضوا للحرج مع أساتذتهم، وفي هذا شيء من التزييف ونوعٌ من الخداع والتحايل البغيض، وإن ظن بعض ذوي العلم أن هذا أفضل من أن يأتي البحث على صورة مهلهلة، وإن زعموا - كذلك - أن العبرة بالخواتيم، ولكنهم نسوا حقيقة مهمة؛ أن فاقد الشيء لا يعطيه؛ فالباحث الذي لا يعرف أسرار اللغة وقواعدها لايستطيع أن يوظف تلك اللغة لخدمة أفكاره بُغية الوصول إلى نتائج صحيحة، وكذا الوسيط الذي قام بمهمة التصويب اللغوي والتقويم الأسلوبي لم يتعايش أو يُلم بالأفكار تعايش الباحث وإلمامه، فإذا جاء لأداء مهمته أقبل وقد افتقد عنصرًا مهمًا من عناصر الأداء اللغوي والأسلوبي، وهو مطابقة الكلام

لمقتضى الحال مع فصاحته، فيأتي تصويبه كمن يحاول إصلاح أخلاق فاسدة بمعالجة الظاهر دون الباطن وإصلاح المظهر دون الجوهر.

وجدير بالباحث أن يعرف أن اللغة المثلى التي لا بد له من التعلق بها هي ما اشتملت على الألفاظ الفصيحة والعبارات الدقيقة والتراكيب المتوافقة مع القياس اللغوي، كل ذلك في أسلوب رائع جميل ووقور، وقد يتصور بعض الباحثين – خطأً – أن اللغة المثلى هي الإغراق في التقعر، والسعي وراء المترادفات الكثيرة، والبحث عن الألفاظ المعجمية غير المتداولة، والجري وراء الاستعارات والتشبيهات وسائر ألوان المحسنات، فذلك كله ضرب من التصنع البغيض الذي يصرف القارئ عن الموضوع إلى محاولة البحث عن الغامض من المعنى والغريب من اللفظ، في محاولة لفك رموز العبارات وطلاسم الجمل.

فالباحث الذي يملك قياد اللغة هو من طاوعته لغته، فجمع أسلوبه بين الرصانة والجمال ونأى عن التصنع والابتذال، والباحث الجيد هو من كان مميزًا بأسلوبه تستطيع أن تفرزه من عدة أساليب، وتميزه عن غيره من الباحثين (١)، هو الذي يترك في أسلوبه بصمة وفي قارئه أثرًا منه، فإذا بلغ هذه الدرجة وارتقى إلى تلك المنزلة التي يعرفه القارئ من خلالها فقد حالفه التوفيق وتحقق له النجاح .

---

(١) راجع: د. محمود علي السمان: التحقيق والتطبيق في البحث الأدبي مطبعة التركي بطنطا.د.ت. ص ١١٢ ، ١٥٣.

(٥)

مراحل البحث

أولاً: مرحلة الاختيار:

أ ـ اختيار الموضوع:

لعل من أهم وأخطر المراحل في حياة الباحث الدراسية ما يسـمي بمرحلـة اختيار الموضوع؛ إذ قبل أن يصير الموضـوع فكـرة مطروحـة في القسـم ينبغـي أن يكون متخمرًا في ذهن صاحبه لقناعته بأن هذه الفكرة صالحة للدراسة، لما فيها من الجدة والطرافة والقيمة الفنية والموضوعية التي تؤهلها لأن تطرح في رسالة علمية جادة

والباحث الجاد الموفق هو الذي يهتدي لموضوع ذي قيمة أدبية كبرى، يبـذل في سبيله كل ما يستطيع من وقت وجهد، ولـن يتحقـق ذلـك إلا بكثـرة القـراءة والوقوف على المصـادر والمراجـع، ومعايشـتها لمـدة طويلـة تكفـي للعثـور عـلى موضوع له قيمة في مجال الدراسات الأدبية.

ومن الباحثين من تكون صلتهم بالموضوع ليست وليدة اليوم أو الأمـس وإنـما هي بعيدة الأغوار، تخمـرت في عقـولهم وأفكـارهم منـذ زمـن، وراحـت تتأكـد عندهم وتتوثق يومًا بعد يوم، يدعمونها بقراءاتهم حتى تستوي على سوقها وتعلن عن نفسها، وهنا يمكن تفسير ظاهرة الاستغراق الزمني لدى بعض المؤلفين حين نراهم يعلنون عن المدة الطويلة التي استغرقتها بحوثهم حتـى تـم إنجازهـا عـلى أكمل وجه وأتم صورة، وهذا شأن الموضـوعات الجـادة والبحـوث القيمـة التـي

تخرج إلى النور بعد معاناة وجهد، فتصبح مراجع في بابها وعناوين أساسية في موضوعها.

ويُخطئ بعض الباحثين - في مرحلتي الماجستير والدكتوراه - إذ يتعجلون إجراءات التسجيل في هاتين المرحلتين، فكثيرًا ما تقودهم هذه العجلة إلى التخبط وسوء الاختيار، ومعلومٌ أن اختيار المرء قطعة من عقله وثقافته وفكره ومزاجه أيضًا، فلا بد أن يقوم اختياره لموضوعه على بناء هو الذي أرسى قواعده.

ولقد رأيتُ أحد الأساتذة يحنق على باحث وينتهره بعنف - على غير عادة الأستاذ وخُلُقِهِ - لأنه يطلب منه - بحكم خبرته - أن يدله على موضوع يصلح للدراسة، وكنت أظن الأمر هينًا لا يستحق كل هذا التعنيف حتى وجدتُ الأستاذ قد عاد إلى هدوئه المعتاد وأخذ يشرح للطالب حقيقة الموقف وخطورة الموضوعات الجاهزة من الناحية النفسية على الباحث ومن الناحية الأدبية والموضوعية على الأدب والمجتمع؛ إذ لابد لكي ينجز الباحث موضوعه على الوجه اللائق أن يكون قطعة من عقله وثقافته وفكره، ونابعًا من اختياره.

ونحن هنا يجب ألا نخلط بين حالة العجز لدى الباحث الذي يطلب إلى غيره اقتراح موضوع ليدرسه، وبين المشروعات العلمية الكبرى التي تعدها الجامعة وتكلف الباحثين إنجازها.

وقد تعد بعض الأقسام العلمية قوائم جاهزة بموضوعات صالحة للدراسة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، بغية توفير الوقت والجهد على الباحثين، وإعفائهم من مشقة الحصول على الموضوع المناسب، فما على الطالب إلا اختيار موضوع من بينها، وإعداد خطة سريعة، والتقدم للقسم بطلب للتسجيل في هذا الموضوع

الجاهز السريع، وبعد مضي وقت قصير ربما شعر الباحث بالاغتراب عن موضوعه وعدم الانسجام مع أفكاره، وبالتالي يمضي في بحثه على مضض محاولاً الفراغ منه على أي شكل وبأية طريقة.

قد يكون في هذه السياسة بعض الرحمة بالباحثين ولكن الأولى بالاعتبار هو اعتماد الباحث على ما توافر لديه من قناعة بدراسة موضوع هو نتاج قراءاته ومطالعاته ، ولا يعني ذلك استغناءه عن توجيهات ذوي الخبرة من أساتذة وزملاء لهم باع في هذا المجال، بل عليه أن يستشير ذوي الخبرة فيما توافر لديه من موضوعات أساسها البحث والقراءة الدءوبة..

وقد يلجأ بعض الباحثين إلى سجلات الموضوعات في كلياتهم والكليات المناظرة أو إلى بعض الأدلة والمطبوعات والفهارس ليختاروا من بينها موضوعًا يقيسون عليه وينطلقون على مثاله، كأن يرى أحدهم موضوعًا مثل ((قضايا المجتمع في قصص يوسف السباعي)) فينسج على شاكلته موضوعًا مثل قضايا المجتمع في قصص أي أديب كيوسف إدريس أو محمود تيمور أو غيرهما، فيأتي بالموضوع نفسه مع تغيير الشخصية المدروسة، ويسير على الخطة نفسها حتى ولو كان المنهج متباينًا - عند الأديبين المدروسين - في التعبير عن هذه القضايا، وهل الموضوع الواحد والظاهرة الواحدة تصلح للدراسة عند كل أديب أم أن الظواهر تختلف من أديبٍ إلى آخر؟ لا شك في أن تناول هذه الظواهر يختلف باختلاف الأدباء والباحثين أيضًا.

فقد تكون بعض هذه الموضوعات صالحة للدراسة في جانب منها، وقد يكون بعضها صالحاً باعتباره ظاهرة ملموسة وواضحة عند هؤلاء الأدباء، ولكن

بعضها الآخر لا يصلح؛ لأنه لا يمثل ظاهرة أدبية أو فنية يمكن الوقوف عندها، كما أن الموضوعات لا تُقَدَّم بهذا الشكل الجزافي، ولا تدرس بناءً على اقتراح أو وجهة نظر فردية دون أن يكون لها ملامح وحدود ثابتة وعميقة في ذهن الباحث نفسه.

ولقد كانت تستهوينا موضوعات - ونحن في بداية عهدنا بالعمل الأكاديمي - ثم نفاجأ بعد عرضها علي أساتذتنا بعدم جدواها أو بسطحيتها أو بأنها لا ترقي للبحث في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، أو أنها واسعة ومتشعبة وتحتاج إلي جهد مشترك وعبء لا ينهض به باحث بمفرده، أو أن الموضوعات التي نعرضها قتلت بحثًا ونحن لا ندري، لكن الأستاذ - بحكم خبرته وتمرسه بالعمل الأدبي، ووقوفه علي المصادر والمراجع الكثيرة، ومتابعته لما يستجد من دراسات، وحسه الفني وذوقه الأدبي - لأجل هذا كله يمكنه أن يحكم علي الموضوع إن كان صالحًا للدراسة أم لا.

فالرجوع إلي الأستاذ المشرف والإفادة من رأيه في الموضوع المطروح للدراسة أمر بات ضروريًا ومهما بالنسبة لناشئة الباحثين.

"وأيًا ما كان فإن عنوان الرسالة هو مسئولية مشتركة بين الطالب والأستاذ المشرف، وعلي الطالب أن يستمع لرأي المشرف باعتباره أكثر منه دراية وخبرة في هذه الأمور"(١).

---

(١) د.محمد عبد الغني سعودي و د.محسن أحمد الخضيري: الأسس العلمية لكتابة رسالة الماجستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢ ص٢٩.

وإن من المهم جدًا التأكيد على أن اختيار الموضوع لا يجب أن يتم بهذه السرعة، بل لابد أن يخضع لشروط معينة، فكما يرى د. يوسف نوفل: "ليس كل موضوع صالحًا ليكون موضوع رسالة، فهناك موضوعات لا تصلح بطبيعتها لذلك، وإنما تصلح أن تكون موضوعًا لكتاب أو موضوعًا لمقالة، كما أن هناك فرقًا بين موضوع يصلح لرسالة ماجستير وموضوع يصلح لرسالة دكتوراه، وبصفة عامة فإن الموضوعات المحدودة المجال المحددة الجوانب والاتجاهات تصلح موضوعات للتخصص، وعلى العكس من ذلك، كلما كان الموضوع واسع المجال متشعب الجوانب متعدد الاتجاهات كان صالحًا للعالمية، وعلى سبيل المثال: موضوع كعمر بن أبي ربيعة يصلح موضوعًا لرسالة الماجستير، وموضوع كالغزل في العصر الأموي يصلح موضوعًا لرسالة الدكتوراه، ومع ذلك فالمسألة لا تتحكم فيها حواجز قائمة أو حدود فاصلة تضع خطوطًا محددة بين ما يصلح للتخصص وما يصلح للعالمية، ولكنها مسألة تتحكم فيها عوامل مختلفة منها ما يتصل بتمثل الباحث لموضوعه وتصوره له، ومنها ما يتصل بمنهج البحث وطبيعته، ومنها ما يتصل بشخصية الباحث العلمية، ومنها ما يتصل بطبيعة الموضوع ومدى مرونته أو صلابته إلى غير ذلك من العوامل، وهي على كل حال عوامل اعتبارية، وربما كان أقدر الناس على تقديرها الأساتذة المتخصصون"[1].

وبناءً على ذلك فإن اختيار الموضوع له شروط أساسية لابد من توافرها فيه حتى يمكن أن نعده صالحًا للدراسة، ومن هذه الشروط: الجدة والطرافة والتحقق من أهميته بالنسبة لمجال البحث العلمي، بحيث تعطى دراسته نتائج تفيد في هذا المجال وتضيف إليه ما كان مفتقدًا فيه من قبل.

---

(١) د.يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي ط١ دار الثقافة بالقاهرة ١٩٩٧ ص١١٥، ١١٦

وتعني الجدة والطَّرافة ألا يكون الموضوع مسبوقًا بالدراسة فتكون دراسته مرة أخرى ضربًا من التكرار والعبث، إلا إذا كانت الدراسة الأولى حول الموضوع لا تتسم بالجدية، ولم تتوصل إلى نتائج صحيحة، حينئذ يظل الموضوع مفتوحًا لمن يملك الموهبة الفذة والمقدرة العظيمة لإضافة الجديد والإتيان بما لم يأتِ به السابقون من نتائج مؤكدة تضفي على البحث أهمية وتكسبه قيمة كبرى في مجال الدراسات الأدبية.

ومن شروط الموضوع كذلك أن يكون موفور المادة العلمية، بمعنى أن تكون هذه المادة وافية بحيث تكفي لينهض عليها بحث علمي متكامل الجوانب، تام الأركان والعناصر، وأن تكون هذه المادة في الوقت نفسه غير متعذرة المنال، أو يستحيل العثور عليها، أو يمكن لكن بمشقة وجهد مضنيين قد يصرفان الباحث عن الموضوع ويزهدانه فيه، فإذا أراد الباحث - مثلاً - أن يبحث في إحدى الظواهر عند أديب مَّا، فلا بد أن يكون الحصول على مؤلفات هذا الأديب أو ذاك ميسورًا، أو تكون هذه المؤلفات متوافرة يمكن الحصول عليها دون مشقة وعناء شديدين، وكذا ما أثير حول هذه الأعمال والمؤلفات من نقد وعرض وتحليل، وما يمكن أن يكون مساعدًا في فهم هذه الأعمال من المراجع العامة التي تخدم الظاهرة المدروسة، كل ذلك ضروري وهام بالنسبة للباحث، كذلك لابد أن تكون هذه المادة العلمية التي تمثل الظاهرة المدروسة (صُلب الموضوع) بارزة وواضحة في هذه المؤلفات وكافية في الوقت نفسه لإتمام الموضوع وتمثل عناصره، فلو أن باحثًا أراد أن يدرس الفن القصصي في إحدى المجلات العربية ـ كالهلال والقصة المصريتين، أو العربي الكويتية، أو غيرها من المجلات التي تُعْنَى بهذا الفن ـ من الناحيتين الموضوعية والفنية فعليه أن يهتم- بداية - بأمرين:

الأول : اختيار المجلة التي تعنى بهذا الفن القصصي بحيث تكون المادة القصصية التي تخضع للدراسة وفيرة تغطي هذين الجانبين: الموضوعي والفني.

والثاني: أن تكون المجلة موفورة لدى جهة نشرها أو موجودة في دور الكتب والمكتبات العامة أو دور النشر، وإذا كانت المادة القصصية غزيرة جدًّا بحيث يصعب على الباحث الإلمام بها وتناولها كلها في دراسته فعليه أن يحدد مدة زمنية لهذه الدراسة، أو ينتقي من هذه المادة الغزيرة - انتقاءً غير مُخل ولا مجحف - ما ينهض بهذا الدور ويؤدي هذا الغرض.

وقد يقف بعض الباحثين مشدوهين مذهولين بعد أن يكون القسم قد وافقهم على التسجيل في الموضوع للذي طرحوه دون دراسة هذه الأبعاد، فتصدمهم هذه العراقيل المحبطة، ويتلفتون حولهم يبحثون عن المنقذ ولا منقذ، فيعودون يلوكون الحسرة والمرارة ويجرون أذيال الخيبة عائدين إلى القسم ليجد لهم حلاً أو مخرجًا من هذا المأزق، وقد يكون التعديل في الموضوع أحد الحلول ولكن غالبًا ما يضطر الباحث إلى ترك الموضوع كلية والبحث عن آخر يصلح للدراسة ولا يؤدي إلى الوقوع في المتاهة مرة أخرى.

ولكي يتجنب الباحث الوقوع في مثل هذه المآزق عليه أن "يبتعد عن الموضوعات العامة المتسعة المجال التي يصعب حصر اتجاهاتها، وضبط جوانبها، والتحكم في أدواتها ووسائلها، والسيطرة على مساحاتها الفسيحة المنتشرة، ثم البعد عن الموضوعات الغامضة المبهمة التي يصعب تحديدها وتشكيل مناهج محددة لها، أو يتعذر تمثل صورة واضحة لها، كالأدب في عصر بني أمية - مثلاً - فإنه موضوع غير صالح لرسالة علمية؛ لعموميته واتساع مجاله، كما يصبح

موضوع كالمثل العليا في الشعر العربي غير صالح أيضًا؛ لغموضه وإبهامه وصعوبة تحديده"[١].

إن الموضوع الناجح هو الذي يختاره الباحث بعد دراسة وتدبر وقراءة في المراجع، واستشارة المتخصصين، ومناقشتهم، والإفادة من آرائهم حول هذا الموضوع ومدى صلاحيته للدراسة والبحث، والتأكد قبل البدء فيه من أن مصادره موجودة ومراجعه وفيرة، وأنه موضوع محدد له محور أساس ينهض عليه، وتُسلم كل التشعبات في البحث إلى هذا المحور في نهاية الأمر.

أما إذا كان الموضوع متعدد المحاور كبحر لا ساحل له، أو كعقد منفرط لا يمكن جمع حباته الشتيتة، فقد افتقد عنصرًا مهمًا، هو الوحدة الموضوعية التي يمكن من خلالها الوصول إلى النتائج السليمة.

ب ـ اختيار المشرف:

المشرف هو ذلك الأستاذ ذو الخبرة الواسعة والعلم الغزير والمنزلة الرفيعة، وهو أحد أعضاء القسم الذي ينتمي إليه الباحث، يختاره القسم للإشراف على إحدى الرسائل، أو يختاره الباحث للإشراف على بحثه حسب أعراف الجامعات ورؤية كل منها لمدى صلاحية هذا الإجراء أو ذاك للبحث والباحث، وفي جميع الأحوال يكون من الضروري مراعاة التخصص الدقيق – إن أمكن – فموضوع عن فن القصة أو المسرحية ينبغي أن يسند الإشراف عليه إلى أستاذ متخصص في هذين الفنين، وموضوع في تحقيق المخطوطات جدير به أستاذ متمرس بالتحقيق وله فيه باع طويل، حينئذ تعود الفائدة على الباحث وعلى البحث أيضًا،

---

(١) د.يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي ص ١١٨ .

وإن دور المشرف مع الباحث عظيم من الناحيتين: العلمية والتربوية، فهو من الناحية الأولى محل ثقة الباحث ومرجعه المباشر حين تتأزم الأمور أو تصادفه بعض المعضلات، يرجع إليه ويسترشد به، ويستشيره في كل أمر يتعلق بالبحث، ومن الناحية التربوية هو أستاذه ومعلمه ومثله الأعلى وقدوته، ينظر إليه الباحث على أنه المُعَلِّم والمربِّي، ويرسم له في مخيلته صورة مثلى فلا بد أن تكون العلاقة بينهما - قبل أن تحمل صفة رسمية - علاقة قائمة على الحب والمودة، حتى يستشعر الباحث روح الاطمئنان والأمان، ويسير في بحثه بخطى ثابتة، ليس بينه وبين مشرفه حواجز ولا تحذيرات شكلية تصنعها جفوة اللقاء ورتابة الإشراف.

وعلي الباحث - كذلك - أن يعرف لأستاذه قدره ويقدر قيمة الوقت والجهد لديه، فلا يتردد عليه في كل لحظة، ولا يلاحقه في كل مكان، بل عليه أن يتخير الزمان والمكان المناسبين للالتقاء بأستاذه، وغالبًا ما يتم اللقاء بينهما في مكتب المشرف أو في غرفة الاطلاع في مكتبة الكلية، أو في أي مكان يحدده الأستاذ.

ومن المشرفين من لا يرى ضرورة لتردد الباحث عليه طول مرحلة إعداد الرسالة، بل يعطيه أجازة مفتوحة، ويعفيه من لقائه مدة طويلة حتى يفرغ من رسالته، ثم يتقدم بها لأستاذه مرة واحدة، فيأخذ في قراءتها في صورتها النهائية، ولا يقبل بغير ذلك منه، زاعمًا أن ذلك منهج حميد يتيح للباحث فرصة الانطلاق دون توقف، و يمنحه حرية التعبير عن أفكاره و آرائه دون مراقبة من أحد، كما أن هذا المنهج يغلق - في رأي الآخذين به - كل وسائل التدخل والتشويش على الباحث ومحاصرته من قبل الآخرين، فيأتي بحثه في صورة تامة، و ينجزه على نحو متكامل قد روعيت فيه كل عناصر الخطة المتفق عليها بين الباحث ومشرفه.

ومنهم من يلزم باحثه بمواعيد ثابتة و لقاءات منظمة حتى يقف الأستاذ على ما أنجزه الباحث، ويلاحظ خطواته و توجهاته، و يتأكد من جديته في البحث ومن سلامة منهجه و مصداقية أهدافه ونتائجه، فإذا فرغ من أحد فصول بحثه قرأه الأستاذ، و راجع باحثه فيما يستحق المراجعة، فيسلم الباحث من الزلل.

وتبدو هذه الخطة - في ظني - أقرب إلى طبيعة المهمة الملقاة على عاتق المشرف و الرسالة المنوطة به؛ إذ إن مهمة المشرف هي المتابعة والمراقبة، فالمشرف كمهندس الإنشاءات الذي ينزل إلى موقع العمل ليرسم التصميم (خطة البحث) ويراقب عملية التنفيذ، و يشرف عليها منذ البداية وحتى النهاية، فإذا تسلم المبنى (الرسالة) بعد هذه المتابعة والمراقبة والإشراف استطاع أن يعطي تقريرًا وافيًا عن الموضوع؛ لإلمامه بكل تفاصيله، و معايشته لخطوات تنفيذه، حينئذ يعلن مسؤوليته عن أي خطأ أو تقصير وهو مطمئن أيما اطمئنان، وما كان له أن يعلن عن ذلك لولا متابعته ومشاركته في كل خطوة ومعايشته لكل مراحل البناء.

وعلى الأستاذ أيضًا ألا يبخل على باحثه بوقت ولا جهد ولا نصح ما وسعه ذلك، ويُحْمَد لبعض الأساتذة والمشرفين انشغالهم ببحوث طلابهم كما لو كانت بحوثهم هم، يمدونهم بالمصادر النافعة والمراجع النادرة، ويقدمون لهم المعلومات المفيدة، ويقرءون معهم ما كتبوه أولاً بأول، يناقشونهم فيه، يقرون ما يقرون من أفكارهم، ويرفضون ما يرفضون، يتفقون ويختلفون، ولا يذهب الخلاف بالود بينهم.

ولا ينبغي أن يفوت الأستاذ ما بينه وبين باحثه من فروق في الخبرة والمستوى العلمي والثقافي وأسلوب الأداء، حتى لا يطالبه بأن يكون نسخة منه أو على قدر مستواه، بل يجب أن يمد له يديه، ويتوقع منه الخطأ فيقيل عثرته ويوقفه على الطريق الممهدة، ويجنبه المزالق والمهالك.

والباحث المنصف هو الذي يسجل آراء أستاذه ووجهات نظره ومواقفه الحميدة من غير تزلف ولا مجاملة، يثبت ذلك في متن الرسالة أو هامشها، أما تجاهل هذه الآراء والمواقف من قِبَل الباحث مستغلا حياء مشرفه وصمته ـ أحيانًا ـ فضرب من عدم الوفاء وخرقٌ للأمانة العلمية.

وعلى الباحث أن يفيد من مؤلفات أستاذه، يقرأ منها كل ماله صلة ببحثه، وكل ما هو نافع ومفيد في موضوعه، لتكون آراء أستاذه عالقة بذهنه، ويكون منهجه راسخًا في عقله، ويصبح مع أستاذه على مستوى الحوار الأدبي، ولا مانع أن يُضَمِّن رسالته بعض هذه الآراء ما دام المقام يتطلبها ويستدعيها، فلا يقحمها إقحامًا إرضاءً لأستاذه، فالبحث العلمي لا يقوم على المجاملة والمصانعة، وإنما على الحيدة والموضوعية والمنهجية العلمية ومصداقية الباحث ورقي مستوى الأداء.

والأستاذ المشرف كالقاضي الذي يحرص على إحقاق الحق وإبطال الباطل وإقامة العدل ورفع الظلم، فهو أول من يحكم على الباحث بإقراره على ما جاء في بحثه والسماح له بطبعه، وهو آخر من يعلن نتيجة الحكم، وهو في كل هذا وذاك لا يصدر عن هوى وإنما حيدة وإنصاف.

ثانيًا: مرحلة الإعداد:

إن مرحلة إعداد البحث أو الرسالة الأدبية من أهم المراحل في حياة الباحث؛ إذ هي المعترك والخضم، هي الخصوبة والنضج التي يمر بها البحث، أوهي مرحلة الكدِّ والتعب والشقاء في السعي وراء المعلومة، وهي مرحلة التنقيب والتمحيص والفحص والترقب، وقل فيها كل ما تشاء مما يوحي بهذه المعاني جملة وتفصيلا.

إن الباحث في هذه المرحلة يتهيأ ويستعد ويأخذ كل احتياطاته ويشحذ قواه بكل وسائل الهمة والاستعداد؛ لأنه مُقْدِم علي مرحلة تحتاج منه جهدًا غير عادي، مرحلة لا تعرف الكسل والنوم، وإنما تحتاج إلي الحركة الدائبة والنشاط الدائم، واليقظة المستمرة، وهذا شأن الإنسان الجادُّ حين يقدم علي جلائل الأعمال وعظائم الأمور، فإنه يقدر لكل شيء قدره، ويضع الأمور في نصابها.

والحديث عن مرحلة الإعداد يقتضي الحديث عن مسائل عدة منها: إعداد الخطة، وإعداد مصادر البحث ومراجعه، ثم إعداد المادة العلمية التي عليها ومن أجلها يدور الحديث كله.

فإعداد الخطة أو المنهج الذي يسير عليه البحث أمر تصوري عقلي يتخيله الباحث في البداية علي أنه الأمثل من وجهة نظره لموضوعه أو الأقرب للصواب، والباحث الذي يتعرض لوضع خطة ورسم منهج وتصور لموضوع مَّا، لابد أن يكون علي قدر كبير من الوعي والثقافة، قد قرأ أبحاثًا عديدة في مجال تخصصه، ووقف علي خططها ومناهجها وفهارس موضوعاتها حتى تساعده بشكل غير مباشر وتسهل له مهمته، فالشيء بالشيء يذكر، ونحن لا ندعو الباحثين إلي أن يكونوا أبواقًا يرددون ما يقوله غيرهم، ولا أن يكونوا نقلة أو نسخًا مكررة من

باحثين سبقوهم، ففي هذا قتل للإبداع ودفن للمواهب، ودعوة إلى الركود والتقليد وعدم التجدد والتطور مع العصر، إنما القصد من وراء ذلك: أن ينظر الباحثون في آثار من سبقوهم ويترسموا خطاهم ويفيدوا من خبرتهم وتجاربهم، ثم بعد ذلك يفرض الموضوع نفسه علي الباحث، فيكتشف كل يوم جديدًا فيه، ويغوص في أعماقه، وتتفتح أمامه المغاليق، فيغير من خطته ويعدل من منهجه حسبما تبين له، ولذا تقبل الكليات من الباحثين بالخطط المبدئية والمناهج الأولية التي يضعونها لبحوثهم، علي أنها مجرد تصور قابل للتعديل حسبما تقتضي طبيعة الدراسة الأدبية، فما من باحث التزم بخطته الأولي، وما من بحث إلا وتغير قالبه في النهاية عما تصوره في بداية صلته بالموضوع.

وإعداد الخطة يستلزم بالطبع أن يكون الباحث علي دراية - وإن لم تكن تامة - بموضوع بحثه، فيكفيه أن يكون عنده تصور مبدئي لموضوعه، وقناعة كافية بصلاحيته للدراسة والبحث، وهذا التصور المبدئي ضروري لترتيب الخطوات ترتيبًا منطقيًا سليمًا "يُرَاعَى فيه التسلسل الموضوعي لهذه الخطوات وارتباط كل خطوة بالتي تليها ارتباطًا عقليًا دقيقًا، ولكن بشرط ألا تتداخل الخطوات بعضها في بعض، وإنما تظل كل خطوة وحدة قائمة بذاتها" (١).

وقد يستعين الباحث ببعض المراجع أو الموسوعات العامة التي تتعرض بشكل أو بآخر لموضوعه من قريب أو بعيد، فيأخذ منها الأفكار الأساسية التي تعينه على تصوره، وتسهل له عملية تنظيم الأفكار وترتيبها وتسلسلها بشكل يعطي قناعة شبه كافية لمشرفه وأساتذته - في جلسات القسم العلمية مع الباحثين

---

(١) يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي ط دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٩٧م، ص ١٢٠.

- بأهمية الموضوع وصلاحيته للدراسة، وجدارة الباحث بالمضي فيه، وقدرته علي تحمل مسئولية البحث العلمي؛ إذ جدية الباحث تبين وتتضح منذ البداية، وفرق كبير بين خطة يضعها باحث قارئ مطلع، وبين خطة أخرى يضعها باحث آخر كيفما اتفق له وعلي أي نحو جاءت؛ لينتزع بها موافقة القسم والكلية على موضوعه.

ويستطيع أي باحث أن يضع هيكلا لرسالته أو بحثه، ويقسمه — كالمعتاد - إلى أبواب تحتها فصول، أو إلي فصول تتفرع عنها أجزاء ؛ ويرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع المدروس، فهو الذي يوجه الباحث إلى هذا أو ذاك، فمن الموضوعات ما يقبل التقسيم إلي أبواب يندرج تحتها فصول عدة، وذلك إذا كان الموضوع متسعًا ومتشعبًا، أو يُعْنَى بالمقارنات والموازنات بين أدبين أو أديبين، أو فنين شعريين، حينئذ يكون تقسيمه إلى أبواب يتضمن كل منها عدة فصول أولى؛ نظرًا لتشعب الموضوع واستجابته لهذا التقسيم، واستيعابه لما فيه من مطارحات، كما لو درسنا مثلا موضوع (الحياة الدينية في الشعر العربي القديم بين الجاهلية والإسلام) فإن موضوعًا كهذا ينقسم إلى بابين أساسيين،هما: طبيعة الحياة الدينية في كل عصر من هذين العصرين على حدة، ثم إن كل باب يضم تحته عدة فصول عن اتجاهات الحياة الدينية في كل عصر من حيث ألوان العبادة وصورها والفرق والمذاهب التي يخضع لها كل عصر، والفروق بين الحياتين في الغلو والاعتدال، والحق والبهتان، والصدق والكذب، والفروق الفنية في الألفاظ والأساليب والأخيلة إلى غير ذلك من الألوان الفنية المعروفة.

ومن الموضوعات ما لا يقبل مثل هذا التقسيم المتشعب فلا يحتـاج إلى تلـك الأبواب، وإنما يكفيه أن يقسم إلى عدة فصول متوازنة، كما إذا كان الموضوع يُعْنَى بدراسة أديب من الأدباء في القديم أو الحديث، أو دراسة فن من الفنون الشـعرية أو النثرية بعامة أو عند أديب من الأدباء بخاصة، كفن الغـزل عنـد عمـر بـن أبي ربيعة مثلا، فإن الأنسب لمثل هذه الموضوعات أن تقسـم إلى فصـول، كـل فصـل يناقش موضوعًا ويُسْلم إلى ما يليه إلى نهاية البحث، عـلى أن تسـتوعب كـل هـذه الفصول عناصرَ الموضوع وتعطي تصورًا كاملا عنه.

ولابد أن توضع لهذه الأبواب أو الفصـول ومـا ينـدرج تحتـت كـل منهـا مـن جزئيات ومباحث عناوين مستقلة تسعى كلها إلى خدمة العنوان الأصلي للبحث، وتدور حوله وتناقش أفكاره وما يطرحه من قضايا ومشكلات.

ولابد لهذه العناوين أن تكون واضحة دالة على ما تناقشه مـن قضـايا وأفكـار، ليس فيها غموض أو إبهام، ولا مجال فيها للخيـال الفنـي الـذي يناسـب الأعـمال الفنية والإبداعية؛ إذ البحـث العلمـي يتميـز بالموضـوعية والوضـوح، ويتجنـب الإلغاز والغموض؛ لأنه يُعْنَي بالحقائق لا الخيال، وإن كان الخيـال أحـد مجـالات دراسته، لكنه يستخدمه بغية الوصول إلى الحقيقة، فهو يبرزه ويدرس آثاره الفنيـة في الأعمال الإبداعية.

وعند تقسيم البحث إلى أبواب وفصول، أو إلى فصول فقط، توضع له مقدمـة في البدء وخاتمة في النهاية، وأحيانًا يعقب هذه المقدمةَ تمهيـد أو توطئـة أو مـدخل للموضوع يتناول جزئية أساسية لابد منها قبل الشروع في الدراسة.

كما توجد في نهاية البحث أيضًا - وبعد الخاتمة - بعض الملاحق والفهارس والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

فالمقدمة: لها أهميتها البالغة؛ لأنها نقطة الانطلاق، فهي التي تجيب على كثير من الأسئلة، وبها يُعْنَي القارئ وإليها يتوجه منذ اللحظة الأولي، وهي التي تدفعه لاستكمال القراءة، والمضي فيها قدمًا، أو هي التي تصرفه وتصده عن البحث، فيضن بوقته أن ينفقه أو جزءًا منه في قراءة بحث ربما تدل مقدمته على عدم جدواه.

وتوضع المقدمة في صدر الرسالة، وترتكز على عدة مسائل لابد للباجث أن يبرزها ويجليها في البداية، فهي جِدُّ مهمة في كل بحث، فلابد أن يبين سبب اختياره للموضوع، وأهميته بالنسبة للدراسة الأدبية، ثم خطة البحث ومنهجه، مع عرض لأهم الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع أو جانبًا منه؛ إذ تقتضي الأمانة العلمية أن يشير الباحث إلى فضل السابقين عليه في مجال دراسته، بإرجاع الفضل إلى أربابه من غير أن ينتقص من قدر أحد؛ فمن الباحثين من يظن أنه أتى بما لم يأت به الأوائل، فيقلل من كل جهد سبقه، ناسيًا أنه في نظر المنصفين يقلل من قدر نفسه وبحثه أولاً.

وعلي الرغم من أن المقدمة هي أول ما يتصدر البحث، فإنها آخر ما يكتبه الباحث ويسطره في بحثه؛ إذ بعد أن يكون قد فرغ من موضوعه فإنه يكتب مقدمته، يبين فيها الأهمية والخطة والمنهج وسبب الاختيار والصعوبات التي واجهته والدراسات التي سبقته وهكذا.

ومن الباحثين من يدأب علي تقديم الشكر لمشرفه وأساتذته وزملائه وبعض ذويه، وربما أسهب في ذلك إسهابًا يخرجه عن طبيعة البحث الأدبي، فعليه ألا يفرط في هذا الأمر، ولا يبالغ في الثناء والمديح لكل من أشار عليه برأي أو قدم له بعض العون والمساعدة، وربما كان من الأفضل أن يجعل ذلك في البيان الذي يقدم به رسالته أمام لجنة المناقشة والحكم على الرسالة.

فعلي الباحث أن يُعْنَي بمقدمته عناية خاصة؛ لأنها عنوان بحثه؛ ولأنها تدور حول الإجابة عن ثلاثة أسئلة: لمَ اختار الطالب هذا الموضوع؟ ولمَ اصطنع له هذا المنهج؟ وأين توجد مادة بحثه؟(١).

وأما الخاتمة: فتأتي في نهاية البحث، وتدور حول أمرين: أهم نتائج البحث، وعرض سريع لما فيه من جديد، أوهي تجيب عن سؤالين - كما يقول د. يوسف خليف -(٢):ما الذي انتهي إليه البحث؟ وما الجديد الذي أضافه إلى العلم ؟

وقد يسجل الباحث فيها بعض التوصيات التي تتعلق بموضوعه، يخاطب بها المراكز البحثية والعلمية وجهات الاختصاص، أو عامة الباحثين والقراء.

ولأن الخاتمة تعد خلاصة للبحث، فإنها تتميز بالتركيز الشديد، ويجب أن تنأى عن التكرار وذكر النصوص أو الإشارة إلى المصادر والمراجع.

---

(١) انظر: د.يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي ص١٢٣.

(٢) السابق ص١٢٣.

ويأتي التمهيد بعد المقدمة مباشرة؛ ومن الاسم يفهم المضمون، فالتمهيد هو توطئة وفرشة وخلفية للموضوع الأساسي، ولابد أن يكون له علاقة وثيقة به، وإلا فلا أهمية ولا قيمة له؛ إذ ينبغي أن يكون له دور كبير في تفسير الظواهر والقضايا التي يناقشها البحث من بعد، غير مقطوع الصلة عنها؛ ولنضرب لذلك مثلاً: إذا أراد أحد الباحثين أن يدرس الجانب السياسي في قصص أديب مَّا، فإن عليه في التمهيد أن يقف على طبيعة الحياة السياسية للعصر الذي يعيش فيه هذا الأديب على المستويين: العالمي والمحلي، ليكشف بعد ذلك عن مدى تأثر هذا الأديب بقضايا عصره السياسية وآثارها في قصصه، ثم يتجه البحث بعد ذلك إلى دراسة أسلوب المعالجة لهذه الأفكار من ناحيتي الشكل والمضمون.

وفي التمهيد لا يغفل الباحث عن بيان اتجاهات الأديب السياسية والثقافية والفكرية؛ إذ الأديب لا يعيش بمعزل عن مجتمعه، فهو لابد متأثر بما فيه من طرح سياسي وفكري مؤثر فيه وهكذا..

فالبيئة - بالضرورة - تؤثر في الأديب "وتكيف أسلوبه ومزاجه كما تكيف بنيته العضوية، وتؤثر فيه في حياته المادية والمعنوية، كما تؤثر في حياة أفراد المجتمع، ومثال ذلك: أن شعر الأمة العربية قبل أن يخرج من جزيرة العرب متأثر أشد التأثر بالطبيعة الخشنة التي كانت تعيش فيها، فأنت تري في وصف الصحراء والسراب والإبل أكثر من أي مظاهر أخري، فلما انبتَّ العرب في الأقاليم المختلفة بعد الفتح

الإسلامي، تأثرت آدابهم بهذه الأقاليم، فكان طابع شعر جزيرة العرب غير طـابع شعر العراق أو الشام أو الأندلس، وكانت صوره المختلفة تلك تمثل الإقليم الذي تقوم فيه"[1].

وقد تحتاج بعض الموضوعات إلى إثبات بعض الملاحق في ختامها، تحتوي عـلى إحصائيات يراجعها القارئ ويسترشد بها عن: المعجـم اللغـوي أو الجغـرافي، أو عن القوافي الشعرية أو بعض النقوش أو الخرائط التي تخدم الموضـوع وتؤكـد مـا توصل إليه الباحث من نتائج مهمة مثبتة في خاتمة بحثه.

ويأتي بعد ذلك ثبت المصادر والمراجع، مرتبًا ترتيبًا هجائيًّا بإحـدى طـريقتين: بذكر أسماء المؤلفين مدرجًا تحتها مؤلفاتهم، أو بذكر أسماء الكتب، وفي كلٍّ يكون من الأفضل تصنيف هذه المراجـع إل مخطوطـة ومطبوعـة، والمطبوعـة إلى عربيـة وأجنبية ومترجمة، مع فصل الدوريات والصـحف عـن المراجـع، ومـن الأفضـل إثبات اسم المؤلف أولاً عند كتابـة المصـدر أو المرجـع، ثـم اسـم الكتـاب، ومـن الباحثين من يري الأمر العكس من ذلك، فيثبت اسـم الكتـاب أولاً، ثـم المؤلـف بعد ذلك، ثم مكان الطبع وتاريخه إذا كان معروف التاريخ، فإذا كان تاريخ الطبع مجهولاً، فتكفـي الإشـارة إليـه بعبـارة: (بـدون تـاريخ) أو باختصـارها إلى رمـز (د.ت)، وعند الإشارة إلى المرجع في صلب الموضوع يُذْكَر رقم الصـفحة والجـزء إن كان المرجع ذا أجزاء.

---

(١) محمد كمال الدين علي يوسف: الأدب والمجتمع، سلسلة من الشرق والغرب الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٢م ص٦٢.

وتجدر الإشارة إلى أهمية تسجيل البيانات المرجعية إذا كان المرجع مخطوطًا، بذكر اسمه ورقمه في المكتبات العامة التي تشرف عليها الدولة، أو الخاصة المصنفة والمفهرسة حتى يمكن الوصول إليه بسهولة ويسر.

وأما إعداد المصادر والمراجع: فله أهمية بالغة في وقوف الباحث على الحقائق، وتوصله إلى النتائج الصحيحة؛ ذلك أن المصادر هي المادة الخام التي يشكلها الباحث ليكوِّن منها أصول موضوعه، أو هي المادة الأولية والأصلية لأي موضوع، فعند الإقدام على دراسة موضوع مَّا، على الباحث أن يتجه مباشرة إلى مصادر موضوعه ليتأكد ويطمئن إلى أنها -على هيئتها من القلة أو الكثرة - تكفي لإخراج بحث تام الأجزاء والعناصر حول هذا الموضوع؛ لأن بعض الباحثين قد يقدم على دراسة موضوع أدبي فيُؤخذ ببريق الموضوع ظانًّا أنه يصلح للدراسة، حتى إذا مضى فيه خطوة أو قطع فيه شوطًا تبين له ضحالة الموضوع وعدم كفاية مادته الأصلية لتكوين عناصره.

ومن هنا يُنْصَح الباحثون- دائمًا- عند اختيار موضوعاتهم أن يضعوا أيديهم على أهم المصادر التي تتعلق بهذه الموضوعات، وليس بلازم أن يقف الباحث على كل المصادر والمراجع منذ البداية، فهذا أمر بالغ الصعوبة، قد لا يتحقق لباحثٍ مهما أوتي من الحرص والدأب؛ "وذلك لأنه ليس من المعقول أن يكون الموضوع ماثلا في ذهن الباحث بكل تفاصيله وجزئياته منذ اللحظة الأولى، وإنما الطبيعي أن يتفتح الموضوع أمام الباحث مع نمو البحث وتقدمه، وكلما أوغل الباحث في موضوعه تفتحت أمامه موضوعات جديدة تحتاج بدورها إلى مصادر ومراجع جديدة"[1].

---

(١) د.يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي ص١٢٧، ١٢٨

ويأخذنا الحديث عن إعداد المصادر والمراجع إلى التفرقة بين المصدر والمرجع؛ إذ المصدر (source) – ويسمى أحيانًا المرجع الأصلي باعتباره الأساس الذي يبني عليه الباحث – "هو الكتاب الذي يحوي المادة الأصلية أو المادة الأولية لموضوع من الموضوعات، وأما المرجع (reference) – ويسمى أحيانًا "المرجع الثانوي" – "فهو الكتاب الذي أخذ مادته الأصلية من مصادر متعددة ثم أخرجها إخراجًا جديدًا يعبر عن رأي شخصي أو وجهة نظر معينة"[1].

فدراسة قاصّ كيوسف السباعي مثلا، تكون قصصه ورواياته مصادر، أما ما أثير حول هذه القصص والروايات من دراسات نقدية مثل: فن الرواية عند يوسف السباعي للدكتور نبيل راغب، أو الرؤيا الإبداعية في أدب يوسف السباعي للدكتور عبد العزيز شرف ورجاء شعير، أو كتاب: عالم يوسف السباعي لعلاء الدين وحيد فمراجع؛ وذلك لأن القصص الإبداعية لهذا الأديب تضم مادة أصلية عن حياته وأدبه يمكن للباحث أن يعتمد عليها في بناء هيكل بحثه، وفي تأليف نسيج مترابط حول الأفكار والمحاور التي ينهض بعبء دراستها، وأما الكتب والدراسات النقدية الأخرى، فإنها لا تقدم مادة أصلية يعتمد عليها الباحث، بل تعرض بعض الرؤى والأفكار من خلال قراءات أصحابها لنتاج هذا الأديب.

وبذا يكون المصدر هو الأساس في موضوع البحث، ولكن ذلك لا يقلل من أهمية الرجوع إلى المراجع والدراسات النقدية التي أثيرت حول موضوع الدراسة لاستقاء بعض المعلومات منها بشكل مبسط.

---

(١) السابق ص١٢٦

ويرى أحد الباحثين أن المصدر والمرجع بمعنى واحد، فكلمة المصدر اشتقاقها اللغوي من الفعل (صدر) بمعنى: رجع، كما يقال: صدر الرعاء عن الماء، أي رجعوا، وكلمة المرجع اشتقاقها اللغوي من الفعل (رجع) أو (أرجع)، فالمصدر عنده هو المرجع، والمرجع هو المصدر[1].

وأرى أن هناك فرقًا بينهما؛ وذلك لأن المصدر يقف عنده الباحث ليبلور الفكرة ويكوِّن الرؤى، ثم يقدم لنا نسيجًا خاصًّا مؤلفًا من خيوط غزلها من المادة الأولية التي يضمها المصدر، وتصبح هذه الرؤى والأفكار المترابطة مرجعًا في بابها يعتمد عليها الباحثون في دراسات لاحقة حول الموضوع.

ثم إن بعض الموضوعات قد تدرس لأول مرة، فيجد الباحث نفسه أمام موضوع بكر، يكون هو أول من يدلي فيه بدلوه، فلا يجد أمامه إلا المصادر التي يستقي منها مادته، ويكوِّن منها مجمل آرائه.

فطبيعة المصدر- إذن - تختلف عن طبيعة المرجع؛ إذ المصدر يظل هو المادة الخام التي تقبل التشكيل إلى عناصر مختلفة، تتوافق أو تتباين حولها الرؤى والأفكار، بينما المصدر ثابت لا يتغير ولا يتبدل.

ويفضل "الدكتور علي جواد الطاهر" التفرقة بين المصدر والمرجع فيقول: "" "أما نحن فنفضل التفريق، بل نلتزمه لأنه أدل وأجدى..نسميها مراجع لأنها ألفت لعامة القراء، لتكون أقرب شيء يرجعون إليه للعلم بشيء أو للعلم بعدة

---

(١) د.غازي حسين عناية: مناهج البحث العلمي في الإسلام ط بيروت ١٩٩٠م ص٢٨١

(٢) منهج البحث الأدبي ص٨٠

أشياء، والمفروض في أصحابها أنهم اعتمدوا المصادر لدى جمع مادتهم وتأليفها، وخلاصة القول في المراجع أنها ألفت للقراء أولا، أما المصادر فهي للمؤلفين أولا؛ إن المراجع لعامة طالبي المعرفة، أما المتخصصون فيذهبون إلى ما هو أبعد منها، إلى المصادر أو المنبع إن شئت"[1].

ومن هنا يتضح لنا أن مصادر أي بحث علمي أو أدبي هي الأساس الذي ينطلق منه الباحث لبناء بحثه على أسس سليمة ثابتة راسخة، لتؤدي في النهاية إلى عمل بحث متكامل تبدو عليه ملامح الجدة والابتكار، ويصبح من الواجب على الباحث حينئذ ألا يحول بحثه إلى نقول من المصادر والمراجع فقط، بل يجب عليه أن يضيف إلى ما يأخذه الإلهامات التي تفيض عليه، ويصبغها بخياله الطلق وأسلوبه العذب الجميل، فيفيد الإنسانية ويدفعها خطوات إلى الأمام"[1].

وقد يستعين الباحث ببعض المصادر العامة التي تعينه على الوصول إلى أهم مصادر ومراجع بحثه، فيوفر على نفسه الكثير من الوقت والجهد، ومن هذه المصادر العامة: دائرة المعارف الإسلامية، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، حيث يُعْنَى الأخير عناية خاصة بذكر المخطوطات المحفوظة في مكتبات شتى من العالم.

ومنها كذلك: تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف، حيث يتناول العصور الأدبية المختلفة منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، ومنها: تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، ففي هذه الدراسات إشارة لكثير من المصادر

---

(١) انظر: معالم البحث الأدبي: د.عبد الرحمن عبد الحميد علي، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٨م ص١٧١.

والمراجع التي توجه الباحث وترشده إلى المصادر التي يستقي منها معلومات بحثه.

وقد يفيد الباحثَ كثيرًا اتصالُه بفهارس المكتبات العامة واستعانته ببعض الأساتذة المتخصصين الذين لهم خبرة ودراية بموضوعه، حيث يقف من خلال ذلك على أحدث الدراسات التي ظهرت في هذا الموضوع.

على أن الباحث لابد أن يستعين بكثير من المراجع في مجالات عديدة في القديم والحديث على السواء، فكلها تخدم بحثه وتنير له الطريق وتفتح له المغاليق، وتساعده على الوصول إلى النتائج الصائبة، فبحثه في أشد الحاجة إلى كتب التراجم القديمة والحديثة، مثل: الأغاني للأصفهاني، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ويتيمة الدهر للثعالبي، والأعلام للزر كلي، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة وغيرها.

ولا غناء للباحث كذلك عن كتب البلدان مثل: أخبار مكة للأزرقي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ونفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، والنجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة لابن تغْري بردي.

بالإضافة إلى كتب النقد الأدبي القديم والحديث مثل: نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وعيار الشعر لابن طباطبا العلوي، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني، والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني، وكتابي عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، في القديم، والوسيلة

الأدبية للشيخ حسين المرصفي، والمواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله، وغيرهما من الكتب النقدية التي لها باع في مجال النقد الحديث.

ولا غنى للباحث أيضًا عن الوقوف على المعاجم العربية مثل: لسان العرب لابن منظور المصري، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، والمعاجم الحديثة مثل: المعجم الكبير والوسيط والوجيز لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وغيرها.

بكل هذه المراجع وغيرها يستطيع الباحث التسلح في هذه المرحلة، فيمضي في بحثه وقد أمسك بيده مفتاح البدء، ثم تتكامل مراجعه ومصادره مع تنامي الموضوع وتقدمه، حتى إذا انتهى من بحثه أو أوشك على الانتهاء أدرك تنوع مراجعه وتكاملها.

على أن الأمر لا يقاس بكثرة المراجع وتنوعها فحسب، بل لابد أن تكون ذات صلة بالموضوع، وتسهم في بناء لبنة فيه، وقد يقع في هذا الخلط بعض الباحثين حين يظنون أن كثرة مراجعهم تعلي من شأن البحث، فتأتي قوائم المراجع عندهم مكتظة ومزدحمة بمؤلفات وكتب ليس لها علاقة من قريب أو بعيد بموضوعهم، فمهمة الباحث أن يقف قارئه على المصادر والمراجع الأساسية في موضوعه، والتي أسهمت بشكل أو بآخر في ترقي بحثه وتقدمه، والتي يعد إغفال بعضها ضربًا من التقصير لا يغتفر.

وتبقى مهمة صعبة تقع على عاتق الباحث عند التعامل مع المصادر والمراجع وهي: أن يكون على حذر فيما يأخذ من مادة علمية قد تحوم الشبهات حول أصحابها وما يصدر عنهم من آراء وأفكار، فلابد إذن من الأخذ بحذر والتنبه لذلك حتى لا تختلط الأمور عليه، فقد يكون بعض المؤلفين من العرب

والمستشرقين ذوي انتماءات عقدية أو مذهبية أو فكرية أو قبلية، تحملها مؤلفاتهم وتتجه نحو دعمها والإغراء باتباعها، وقد يخدع هذا الفكر بعض الباحثين بما يستتر خلفه مروجوه من شهرة أو منهجية، فيقع من لا دراية له بهذه الاتجاهات في شَرَك الصائدين،فليفطن الباحث لمثل هؤلاء، كما أن من واجبه ألا تمر عليه هذه الآراء والأفكار دون مناقشتها وتبصير الآخرين بما وراءها وبمكانها من الفكر الراشد المستنير، إذ هو " لا يدون ما دونه السابقون – شأنه شأن آلة التصوير الحديثة- دون أي مناقشة أو محاولة للتحوير والتعديل، بل هو يدون أفكارهم، ولكن ليناقشها وليضيف بجانبها أفكاره، فهو ليس عبدًا مسخرًا لغيره، بل هو صاحب عقل حر مستقل له شخصيته وله طموحه ومحاولته الجادة في أن يشارك غيره من الباحثين آراءهم وألا يكون نسخة ممسوخة أو مشوهة لهم، يعيش على فتات ما سجلوه من أفكار وآراء"(١) وهذا هو هدف البحث العلمي.

وبعد أن يكون الباحث قد أعد مصادره ومراجعه التي تعد بمثابة المواد الخام التي تقبل التشكيل والصياغة، وذلك حين يكون الصائغ ماهرًا في مهنته، فإنه يستخدم مواهبه وما توافر لديه من خبرات، وما اختزنه عقله ووعاه فهمه من قراءات، ثم يوظفه في معمل بحثه ويعيد تشكيله وصياغته من جديد، وهو ما يسمى بإعداد المادة العلمية، ويكون عليه-حينئذ-أن يوزع جهده على مراحل ثلاثة:

الأولى: مرحلة جمع المادة العلمية.

والثانية: تصنيف هذه المادة المجموعة.

---

(١) د.شوقي ضيف: البحث الأدبي ص١٨

والثالثة: توظيف هذه المادة وبلورتها في صورتها النهائية، كي يكون البحث بعدها مكتملا أو مشارفًا على الاكتمال.

ومرحلة جمع المادة هي مرحلة البدء في خوض التجربة البحثية، والباحثون في هذه المرحلة يتبعون إحدى طريقتين: طريقة الجمع حسب فصول الرسالة وخطتها الموضوعة والمتفق عليها بين الباحث ومشرفه أو القسم الذي ينتمي إليه، أو الجمع بطريقة النظرة العامة أو الشمولية للموضوع، حيث يقوم الباحث بجمع مادة رسالته كلها جملة واحدة دون نظر إلى الترتيب المنهجي الذي ارتسمه لنفسه في البدلية، وكلتاهما تؤديان الهدف، ولكن يُنْصَح الباحثون باتباع الطريقة الشمولية لما يلي:

- لأن الباحث في الطريقة الأولى يراجع المصادر والمراجع عدة مرات، فربما عاود النظر فيها مع كل فصل من فصول دراسته، وفي هذا إهدار للوقت وتكرار لا داعي له.

- ولأن خطته المرسومة تكون قابلة للتعديل، وربما يكلف نفسه البحث عن مادة علمية لأحد الفصول أو المباحث أو الأفكار الجزئية حسبما تقتضي هذه الخطة المبدئية فلا يقف على شيء، فيكون قد بذل جهدًا في غير جدوى، وأضاع وقته سدى، أو جرى خلف فكرة ثم تبين أنها سراب، أما الطريقة الشمولية فتوفر على الباحث ذلك كله، وربما أضافت للخطة عناصر لم تكن من مفرداتها تولدت أثناء القراءة والمطالعة في المصادر والمراجع، فتفتح مجالات للبحث لم تكن في حسبان الباحث، فيثرَى بها العمل، ويتجه نحو الهدف، ويحقق أعظم النتائج.

وحين يستقر الباحث على الطريقة التي سيقوم بجمع مادته على أساسها، فإن عليه أن يعد لذلك بطاقات ليفرغ فيها مادته العلمية التي يحصلها من المصادر والمراجع، وعليه أن يجعل كل بطاقة خاصةً بفكرة واحدة، إما أن ينقل فيها رأيًا لأحد الكتاب أو النقاد، أو نصًا أدبيًا يفيد في خدمة عناصره وأفكاره، وعليه- حينئذ- أن يضع عنوانًا للفكرة التي تحتوي عليها البطاقة، وليكن العنوان مكتوبًا بلون مغاير لما تحته، حتى تتميز العناوين فتسهل على الباحث عملية التصنيف فيما بعد، وعلى الباحث أن يوثق المعلومة التي أخذها في أسفل البطاقة، راصدًا اسم المصدر أو المرجع الذي أُخِذَتْ منه ورقم الصفحة فيه واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع إن أمكن.

وقد ترد على ذهن الباحث أو في خاطره بعض الأفكار والآراء عند تسجيل المعلومة في البطاقة، فليسرع بكتابتها فيها، ولو بلون مختلف، أو في مكان معلوم له منها، حتى يمكنه مراجعة هذا الرأي بعد ذلك عند التوظيف والتوثيق، وعليه ألا يستهين بهذه الآراء والأفكار والخواطر فيرجئها لوقت لاحق، فقد تخونه الذاكرة فتذهب الفكرة في زحام الموضوعات الأخرى، والأفكار ينسي بعضها بعضًا، وقد يستهين الباحث بخاطرة وردت على ذهنه عند تسجيل معلومة، ثم يجد بعد ذلك أنها كانت في غاية الأهمية، وهكذا يفعل في كل بطاقة، حتى إذا فرغ من بحثه، وقرأ كل مصادره ومراجعه، واستفرغ ما فيها من أفكار تخدم عناصر موضوعه،تأتي بعد ذلك مرحلة التصنيف أو الغربلة – إن جاز هذا التعبير- حيث يقوم الباحث- وقد وضع أمامه كل ما جمعه من بطاقات- بتصفية أو اختيار ما يناسب أبوابه وفصوله وما يندرج تحتها من مباحث وأفكار جزئية، قد استوفاها

بحثًا، واستكملها فهمًا ووعيًا واستيعابًا في مرحلة الجمع السابقة، ثم يرتب هذه البطاقات بما يتناسب مع هذه الأفكار الجزئية، وهنا يفيد الباحث من ملاحظاته التي دونها من قبل، ويكون دوره بعد ذلك إعادة صياغة وهيكلة هذه الأفكار التي تحتوي عليها البطاقات؛ فكل بطاقة منها حبة ثمينة تبحث عن أخوات لها حتى ينتظمن في عِقْد.

وليس لازمًا على الباحث أن يوظف كل بطاقة جمعها؛ بل عليه أن يأخذ ما يناسب أفكار بحثه، وما له حاجة في موضوعه، ثم ينفي عنه الهزيل أو الضعيف والدخيل وما ليس له صلة بالموضوع، إذ ربما يكون الباحث في مرحلة الجمع تستهويه بعض الأفكار، فيظن لها أهمية في موضوعه أو نفعًا قد يتحقق من بعد، ولكن مع تنامي البحث وتقدمه يكتشف ضآلة الفكرة وضحالة الرأي الذي دوَّنه، فعليه أن يستبعده ولا يقحمه إقحامًا، حتى لا يكون عوارًا في بحثه، أو يصبح عيبًا يصعب تلافيه بعد ذلك، وقد ينفعه في بحث آخر له صلة بالموضوع في ناحية من نواحيه، فليحفظه في ملف جانبي إلى حين تستدعيه الدواعي فينتفع به.

ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي: مرحلة التوثيق والتوظيف، أو ما يمكن أن نسميه مرحلة الاستنباط والاستنتاج، وهي منهج عقلي يقوم على الربط بين التصورات والأفكار، كما يقوم أيضًا على تحليل هذه الأفكار والتصورات، فالاستنباط يعني بصفة عامة حركة الفكر في انتقاله من موضوع أو أكثر إلى نتيجة بوصفها لازمة بالضرورة عن ذلك الموضوع ويتم ذلك بطريقة عقلية ودون الالتجاء إلى التجربة

الحسية أو المقارنة بالواقع الخارجي، وهو مرتبط لغويًّا بمعنى الاستخراج، يقال: استنبط فلان الماء من الأرض أي استخرجه من باطنها[١].

وليس تجميع المعلومات والبيانات كافيًا لإقامة هيكل بحث علمي، بل لابد من تدخل الباحث بتفسيرها وتبريرها ووضعها في إطار منطقي صحيح يميزها مجموعة مع غيرها ومقرونة بما يؤيدها من النصوص، فإن مجرد تجميع الحقائق لا يؤدي إلى النتائج المرغوبة" ذلك لأن تجميع أحجار البناء لا يؤدي إلى بناء المنزل إلا إذا توفرت الخطة المعمارية اللازمة لبنائه، فالشيء الأساسي الذي ينبغي أن نحفظه دائمًا في عقولنا هو أن الدراسة والبحث ليست مجرد تجميع البيانات والمعلومات والحقائق، ولكن تفسير الباحث لهذه الحقائق ووضعها في إطار منطقي مفيد هو الذي يميز التفكير العلمي عما سواه"[٢].

فالبحث الأدبي استقراء للنصوص وإحاطة بها من جميع جوانبها وأطرافها، وهو استنباط واشتقاق من النصوص للخصائص والصفات، مع بيان العلل الكامنة المستكنة، ولا بد مع كل استنباط من نصوص يستخرج منها، أما إذا لم يقترن الاستنباط بنصوص فإنه لا يكون حينئذ استنباطًا، بل يكون فرضًا، ولا يؤذي البحوث الأدبية شيء كما تؤذيها الفروض التي لا تستمد من نصوص ولا

---

(١) راجع: الدكتور السيد تقي الدين: أصول البحث الأدبي ومناهجه دار نهضة مصر للطباعة ١٩٨٤م ص١٣٥، ١٣٦

(٢) السابق ص١٣٧

تدعمها نصوص، وينبغي أن يستقر في الأذهان أن البحوث الأدبية لا تتعامل مع فروض وإنما تتعامل مع نصوص تشتق منها الظواهر والخصائص"[١].

ومن المؤكد أن مهمة الباحث الأدبي ليست إحداث الفروض، وإنما دراسة النصوص والأمثلة، واستخلاص الخصائص والظواهر الأدبية...،ولعل شيئًا لا يؤذي البحوث والدراسات الأدبية كما تؤذيها قلة الاستنباطات،إذ يحس القارئ أنه أمام باحث لا يتعمق ما يبحثه[٢]، كمن يبحث في زهديات أبي العتاهية ومواعظه مثلا، وما جاء فيها من الثواب والعقاب، يخيل إليه أن عقيدته وإسلامه صحيحان، وأنه يستمد زهدياته من مصادر إسلامية، ولو تنبه الباحث إلى شك معاصري أبي العتاهية في زهده، واتهامهم له في عقيدته،حيث كان يؤمن بمبادئ المانوية التي تؤمن بأن في كل حاسة من حواس الإنسان جنسًا قائمًا بذاته من الخير والشر، ولو قرأ كتاب الحيوان للجاحظ لاستنبط من خلال حديثه عن مبادئ وأفكار المانوية أن أبا العتاهية إنما كان يستمد زهده من إيمانه بأفكارهم ومبادئهم، وذلك في مثل قوله[٣]:

الخير والشر عادات وأهواء　　وقد يكون من الأحباب أعداء

كل له سعيه، والسعي مختلف　　وكل نفس لها في سعيها شاء

---

(١) د.شوقي ضيف: البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره ط٦ دار المعارف١٩٨٦م ص٤٦

(٢) السابق ص٤٧

(٣) ديوان أبي العتاهية: دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٦م ص١١ والشاء: جمع شيئة على غير قياس أي إرادة وميل.

فلو خلا البحث من الاستنتاج القائم على الاستقراء لكل النصوص المتصلة بالظاهرة المدروسة في عصر أدبي أو عند شخصية بعينها لها ظهور أدبي في عصرها، لعد هذا البحث قائمًا على غير دليل يؤكد نتائجه ويثبت أفكاره، فالاستنباط دليل قوة ومكنة للبحث والباحث.

وهنا يكون الباحث قد خطا خطوات منهجية، تمكنه من السير في أمان في مرحلة التدوين، وهي المرحلة الأخيرة من مراحل البحث الأدبي.

ثالثًا: مرحلة التدوين:

وتبدو هذه المرحلة أهم مراحل البحث؛ لأنها تكشف عن خبرة الباحث ومقدرته على توظيف ما جمعه من مادة علمية،بإظهار شخصيته ومهارته في الوصول إلى النتائج وإثبات الحقائق، وإقناع القارئ بأهمية البحث وجدية الباحث.

ومرحلة التدوين تمر بعدة إجراءات في غاية الدقة؛ إذ لابد للباحث من وقفة جادة عند المصادر والمراجع ليأخذ منها ما يناسب الظواهر المختلفة في بحثه، فلا يكون كحاطب ليل يجمع دون دراية بما انعقد حبله عليه، بل يجمع وهو متيقظ لما يأخذ منها وما يدع، ولتكن المصادر هي الأساس الذي يبني عليه؛ لأنها تحمل الفكر الذي يسعى إلى إبرازه وتجليته والوصول إلى الحقيقة من خلاله، أما المراجع فهي التي تحمل أفكار الآخرين ووجهات نظرهم حول الظاهرة المدروسة.

فدراسة ظاهرة معينة في الشعر العربي في عصر من العصور الأدبية تستلزم الأخذ من مصادر شعرائه، ولا تؤخذ من كتب ومراجع تناولت الظاهرة في ناحية

من نواحيها، فعلى الباحث – إذن- أن يقدم المصدر على المرجـع، ويأخـذ نتائجـه من خلاله؛ لأن المراجع قد يشوبها بعض التزييف فيؤدي الأخذ منها إلى الوقوع في الخطأ، وعدم صحة ما تم رصده من نتائج؛ لذا يكون دور الباحث هو مناقشة هذه المراجع، بإظهار ما تم رصده من المصادر الصحيحة التـي تحمـل الفكـر الصـائب عن الظاهرة المدروسة.

وليكن الباحث على درجة فائقة في الأمانـة العلميـة، بحيـث ينسـب كـل رأي يأخـذه إلى صـاحبه، مهـما ضـؤل أو عظـم، محـددًا رأي غـيره بنصـه ومكانـه في مؤلفاتهم،غير محرف ولا مبدل فيـه، ولا مغـير في مبنـاه أو معنـاه، فعليـه أن يـأتي بالنص بلفظه كما دونه صاحبه، ويثبته على هيئته التـي ورد عليهـا، إذ التـدخل في النص بأي شكل من هذه الأشكال يفسده ويقلل من أهميته ويضـعف مـن أثـره، وهو تزييف للحقائق وخيانة للأمانـة العلميـة، فنسـبة الأفكـار والآراء – سـواء أخذت بلفظها أو بمعناها ومضمونها- تقع مسـئوليتها عـلى عـاتق الباحـث أولا وأخيرًا، وعليه أن يراعي روح النص وما يوحي به أو يشير إليـه في غـير تجـن ولا تحامل على صاحبه، ولا يحمله ما لا يحتمل عند توظيفـه في دراسـته، حتـى يكـون صادقًا أمينًا فيما ينقل عن الآخرين، ثم يقع عليه بعد ذلك عبء الإشارة في هامش بحثه إلى المصادر والمراجع التي أخذ منها، وهناك طريقتان متداولتان بين البـاحثين في ذلك:

- إما أن يذكر اسم المؤلف ثم اسـم الكتـاب المـأخوذ منـه،ودار الـنشر، ورقـم الطبعة وسنتها، ثم رقم الصـفحة،هذا إن كـان المرجـع يـرد في بحثـه للمـرة الأولى،وإلا اكتفي بذكر اسم المؤلف والكتاب أو أحدهما حسب الشـهرة إن

كان الكتاب سبق التعريف به، ثم رقم الصفحة،فإذا ذكر المصدر أو المرجع مرتين متتاليتين أو أكثر، يُكْتَفَى في توثيقه بعبارة:السابق ص كذا، أو المرجع نفسه ص كذا.

- أو يذكر اسم الكتاب أولا ثم مؤلفه وهكذا..، والطريقة الأولى أحدث وأجدى؛ لأنها تسمح في الفهرس العام للمصادر والمراجع بإدراج كل ما ورد بالدراسة من مراجع للمؤلف الواحد تحت اسمه،دون أن نكرر اسمه في مواطن عديدة؛ لذا كانت هذه الطريقة أكثر تداولا بين النقاد ولذا يُنْصَح الباحثون بإتباعها.

كما يجب على الباحث ألا يأخذ من النصوص إلا ما له صلة بموضوعه، وأن يتجنب الإطالة ويسقط الحشو الذي لا فائدة منه، فليست قيمة الرسالة في كبر حجمها، وإنما تقاس الأمور بالكيف لا بالكم، كما إن رسالة صفحاتها قليلة ولكنها مركزة الفكرة واضحة الهدف، تصل إليه من أقرب طريق، ولا تسلك بالقارئ دروبًا مظلمة وطرقًا ملتوية، لهي أجدى وأنفع للبحث العلمي من أخرى تبلغ في عدد الصفحات أضعافها.

والباحث في تعامله مع النص الأدبي يُعْنَى بأحد أمرين: بتحليل معناه، أو برصد ما يؤيد الظاهرة المدروسة من هذا النص، ومن خلال ذلك يمكنه الوصول إلى نتائج يقتنع بها العقل وتستقيم وفق المنهج المتبع، دون مبالغة في الأداء أو تعميم في الحكم.

وعلى الباحث كذلك أن يتجنب النزعة الخطابية الوعظية والطريقة الإنشائية المدرسية إذا كان يحرص على الدقة العلمية؛ فإن عرض الرسالة لا يهدف إلى إمتاع

القارئ، وإنما يهدف إلى إقناعه، ولا يعني ذلك التقليل من قيمة الأداء اللغوي والأسلوبي، أو الدعوة إلى إهمال أو تجاهل ذلك في البحوث الأدبية؛ إذ عليها تقوم الوظيفة الأدائية التي تربط القارئ بالكاتب، أو هي الوسيط الذي ينقل الرسالة بين المرسل والجمهور المستقبِل.

كما أن على الباحث ألا يكون معجميًّا، أي يحرص على التقعر وتصيد الشوارد اللغوية، بل عليه أن تكون لغته واضحة في غير إسفاف، يستخدم لغة واضحة تؤدي المعنى وتوصل الفكرة بلا غموض أو إملال، ثم يحرص على تناسق عباراته وجمله، وتلاؤم ألفاظه مع معانيها، وألا يكثر من المترادفات التي لا تنير المعنى ولا تضيف إلى الفكرة جديدًا، إذ ليس المجال مجال استعراض للثقافة اللغوية أو المعجمية.

وعلى الباحث – أخيرًا– مراعاة التسلسل المنطقي الدقيق للأفكار، بحيث يسلم بعضها إلى بعض، في ترتيب وتنسيق يتفقان مع منهجه وخطته اللذين ارتسمها لبحثه.

فإذا حرص الباحث على هذه الآداب، وكان أشد حرصًا على تجنب تلك العيوب التي ألمحت إليها على مدار هذه الدراسة، ضمن لبحثه النجاح، ولعمله الأدبي البقاء والاستمرار ضمن البحوث الأدبية التي تغني المكتبة العربية بالفكر الجاد الذي يعلي من شأن التراث الإنساني في كل البقاع وعلى مختلف الأزمان.

وأخيرًا:

إذا كنت قد آليت على نفسي ـ منذ البداية ـ أن أرصد آليات البحث الأدبي وإشكالياته، فقد رأيت أن السير على هذه الخطة أمر فوق الطاقة؛ لأن الخوض في السلبيات التي يقع فيها بعض الباحثين، قد يعرِّض صاحبه للاتهام وإساءة الظن فيما يبديه من تلك المآخذ والعيوب التي تجافي أخلاقيات البحث العلمي.

ولذا رأيت – في النهاية – أن أقدم اعتذارًا عن كل مالا أقصد إليه مما يقع في دائرة هذا الظن؛ إذ العمل قائم علي نبل الهدف، وسمو الغاية، مهما بدا فيه من جرأة في العرض و التناول، وقد عالجت في هذه الدراسة عدة محاور: فبينت مفهوم البحث، وأهميته، وأنواع البحوث، وموضوعاتها، وآداب البحث والباحث، ومراحل البحث المختلفة، بداية من: اختيار الموضوع والمشرف، ومرورًا بمرحلة الإعداد، وانتهاءً بمرحلة التدوين، فعالجت من خلال ذلك كله ما ينطوي عليه البحث من عيوب قد تخفى إلا على المتخصصين، وكلي أمل أن أكون قد أضفت جديدًا، أو عرضت وناقشت ما يفيد، جاعلاً شعاري دائما قول الله – تعالي –: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" هود آية٨٨.

وقد بذلت في هذا البحث كل ما وسعني من الجهد ولا أدعي خلوه من العيوب، ولكن يغفرها لي أني حسن النية، أما أنت قارئي العزيز فأملي فيك:

إن تجد عيبًا فسُدَّ الخللا جلَّ من لا عيب فيه وعلا

والله أسأل أن يجعل ذلك من خالص العمل، وهو حسبي ونعم الوكيل.